إيران وأحداث مصر..
فتّش عن المصلحة

الوقود الطائفي للانقلاب في مصر ..
الصوفية والشيعة نموذجا

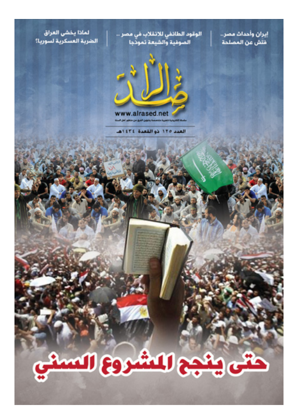
لماذا يخشى العراق
الضربة العسكرية لسوريا؟



www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
العدد ١٢٥ ذو القعدة ١٤٣٤هـ

حتى ينجح المشروع السني





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٥)
ذو القعدة - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

حتى ينجح المشروع السني

تعاني أمتنا اليوم من صراع المشاريع المختلفة على مقدراتها وقدراتها، وهذه المشاريع تتنوع بين المشروع الصهيوني والمشروع الغربي والمشروع الشيوعي والمشروع الطائفي أو الشيعي والمشروع العلماني والمشروع الاستبدادي.

وفي خضم هذه المشاريع يغيب المشروع الحقيقي والأصلي وهو المشروع السني، الذي يعبر عن الغالبية الأصيلة في الأمة، وهو المشروع الذي يمتلك المشروعية الشرعية والتاريخية والقانونية.

المشروع السني ينبثق من هوية الأمة وتاريخها ولغتها وتراثها، وهو ليس مشروعاً وافداً من الخارج ولا مشروعاً يحمل أجندات فئوية لفصيل دون آخر، ولا مشروعاً يسعى للهيمنة بالباطل لصالح نخب فاسدة ضيقة (أولغاركية) كحال المشاريع الأخرى.

هذا المشروع السني لا يزال ينمو ببطء مع الأسف عبر أكثر من ١٠٠ عام، منذ ظهرت دعوات الإصلاح الإسلامية في مختلف البلاد الإسلامية، هذه الدعوات الداعية للعلم وحرب الجهل والخرافة، والعاملة على نشر التوحيد والسنة وحرب الشرك والبدعة والضلالة، والمجاهدة باللسان والسنان ضد الاحتلال المادي والمعنوي، والساعية لبعث الأخلاق الحميدة بعد طوفان الفساد والانحلال الوافد عبر الدعوات المنحرفة وأدوات الاحتلال.

هذه الدعوات الإصلاحية المباركة ورغم نجاحها في المحافظة على هوية الأمة من أن تستلب بالكامل، ونجاحها في نشر الوعي بالعلم الشرعي وأهميته، ونجاحها في حرب كثير من مظاهر الشرك والبدعة والخرافة، ونجاحها في دحر الاحتلال المباشر في غالب البلاد الإسلامية، ونجاحها في المحافظة على أصول الأخلاق الإسلامية، إلا أنها لم تصل بعد للنجاح الكامل الذي تبتغيه وهو قيام نموذج للحكم الإسلامي الرشيد يعيد أمجاد الماضي بعدله وتقدمه وقوته ورحمته، ويكون قدوة للبشرية المعاصرة لتخرج من تيهها وأزماتها الروحية والمادية.

وهذا الإخفاق له أسباب عدة، منها:

عدم تراكم العلم والمعرفة في هذه الدعوات الإصلاحية في أبواب هامة من العلم والمعرفة، مما يؤدي دوما للبداية من الصفر في كل تجربة جديدة، فتضيع الأوقات وتتبدد الطاقات، ومن أمثلة هذه العلوم والمعارف:

١- علوم التنمية البشرية، التي تشمل تطوير ملكات التفكير والبحث والتأمل، وتشمل مهارات الاتصال والتواصل، وتشمل مهارات القيادة والإدارة، وللأسف فإن هذه العلوم لم تدخل بعد في صلب المعارف والعلوم التي تقدمها الدعوات الإصلاحية لروادها وجمهورها، ولا تزال متروكة للمبادرة الفردية والشخصية، ويتولد عن ذلك تكدس الأفراد العاديين في مفاصل الدعوات الإصلاحية وإعادة إنتاج البيروقراطية الحكومية الفاشلة المتفشية في المؤسسات العامة في المؤسسات الدعوية الإصلاحية، وبذلك تعجز الدعوات الإصلاحية عن القيام بدور القاطرة التي تجر خلفها العربات/ الأمة على السكة/ الصراط الموصل للرفعة والتقدم والنجاح.

٢- معرفة الفرق والمذاهب المعاصرة قديمة كانت أم حديثة، فلا يزال حسن الظن في غير محله هو المتبع في التعامل مع الفرق والمذاهب المعاصرة، مما نتج عنه

الكثير من المصائب والكوارث للدعوات الإصلاحية، فمن المهم جدا أن يكون هناك مراجع معتمدة للفرق والمذاهب المعاصرة تتميز بالموضوعية والجدة والعمق، فمن المعيب أن تستنجد اليوم حركة حماس بإيران وحزب اللّه لمواجهة تبعات الانقلاب في مصر، في الوقت الذي يمارسان فيه القتل يوميا في سوريا بحق الشعب السوري، لأنهما أولاً: من الأعداء وليسا محايدين أو مناصرين، وثانياً: يفتح هذا الباب للسياسة الانتهازية المخالفة للشرع، وثالثاً: كيف ينصرنا اللّه ونحن نخذل مسلما؟

وبسبب هذا الجهل بالمذاهب الفكرية المعاصرة تحالف الإخوان المسلمون عبر تاريخهم مع العديد من الفصائل العلمانية اليسارية والليبرالية التي سرعان ما انقلبت عليهم! فهم كانوا مع حزب البعث السوري وهو يحارب إخوان سوريا، وتحالفوا في الأردن مع البعثيين واليساريين فانقلبوا عليهم وانحازوا لإجرام بشار الأسد، وتحالفوا معهم في انتخابات مصر وأدخلوهم للبرلمان واليوم انقلبوا عليهم، ويطالبون بحل جماعتهم وسحل أفرادهم!!

وأيضاً من الجهل بالمذاهب الهدامة انشغال فئات من السلفيين بتتبع أخطاء جماعة الإخوان دون أخطاء بقية التيارات السياسية والفكرية، فهذا نوع من الحول الفكري، أن تنشغل بالكامل ضد جماعة نيتها سليمة ولو أخطأت قليلاً وكثيراً عن أحزاب وجماعات سياسية وفكرية ملحدة وعلمانية ومحاربة للإسلام بعضه أو كله!! ويكون الجرم أعظم حين يكون هذا الانشغال بإيعاز من هذه التيارات المنحرفة عن الإسلام ولصالحها.

٣- الجهل بتاريخ الدعوات الإصلاحية وتجاربها وخبراتها وعدم توارث ذلك، يكاد يكون جهلا مطبقاً، ونتائجه الكارثية على فشل المشروع السني تبلغ من الضخامة حدا لا يتخيل!

فكم من الجهود الكبيرة والتي بذلت من أجلها أرواح ومهج كثيرة جدا، وأنفقت في سبيلها أموال هائلة، واستغرق الوصول لها سنين طويلة، ثم تضيع بسبب تكرار خطأ لم نتعلم من وقوعه أول مرة!!

ومن يطالع تجارب الإصلاح يجد أنها نجحت بشكل كبير في البدايات ووصلت لثمار رائعة، لكن بسبب عدم الوعي لمرحلة ما بعد التأسيس، وعدم الانتقال من الفردية للمؤسسية، وعدم تطوير الرؤية وتعميقها، واحتكام القيادة للولاء على الكفاءة، مني العمل الإصلاحي بنكبات متكررة فشل بسببها عن تحقيق غاياته.

٤- علم السياسة الشرعية، برغم أهميته ومركزيته إلا أن الاهتمام به لا يزال نخبوياً، والواجب أن يصبح علماً شعبياً متداولاً بين الناس، حتى يحكم تصرفاتهم ويلجم انفعالاتهم، ويوجه الطاقات لمسارات البناء المجدية، فتتراكم الإنجازات، ونخرج من دائرة العبث (البناء والهدم) التي حذرنا منها النبي ﷺ فيما روي عنه بقوله: «إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

ونحتاج أن يصنع لعلم السياسة الشرعية متن صغير أو نظم يعمم في حلقات العلم ويصبح من أولويات طالب العلم الأساسية، ومن ثم يفتح المجال للتوسع في المستجدات العصرية وتنزل عليها الأحكام الشرعية، ويستخلص منها التجارب الماضية القواعد والضوابط التي تجنبنا تكرار الأخطاء وتضييع الأعمار.

٥ – علم إدارة الخلاف والنزاع، وبرغم أنه من علوم الإدارة الداخلة في علوم التنمية البشرية إلا أن الحاجة الماسة له جعلتني أفرده بالحديث، فكم من الصراعات بين فصائل الإصلاح والدعوات تستهلك فيها الجهود والطاقات دون طائل؟

وكان بالإمكان الحفاظ على هذه الجهود المهدورة لو أحسنا علم إدارة الخلاف والصراع، كما يحسن إدارته أعداؤنا، فالخلافات في حكومة إسرائيل مشهورة معلومة، والخلافات في نظام الملالي بطهران معلنة مكشوفة، لكنهم مع كل ذلك يوظفونها لما ينتج مصلحتهم ولا يبدد قوتهم.

فمتى نبتعد عن عبارات التخوين والعمالة بين فصائل العمل الإسلامي كلما حدث بينهم خلاف أو صدام، ومتى نحسن أن نسرب الخلاف بيننا في مسارات متوازية بدلاً من أن نطرحه في خطوط متقاطعة!

في الختام: إن ضعف أو غياب هذه العلوم هو من معيقات المشروع السني عن بلوغ غايته ونهايته، عزيزي القارئ: إذا كنت أنت ممن غابت عنهم هذه العلوم وكنت من معيقات مشروعنا عن بلوغ غايته، فهل أنت على استعداد لتدارك ما فات؟

اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر.



١٧- الإمام المجاهد محمد رشيد رضا

(١٢٨٢/١٣٥٤هـ - ١٨٦٥/١٩٣٥م)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

تمهيد:

يكاد العلامة رشيد رضا يكون نقطة انطلاق الصحوة السلفية والإسلامية العامة التي نعيشها في عالمنا المعاصر، فعلى امتداد ٤٠ سنة كان مصدر الإشعاع والتوجيه لمختلف أقطار الأمة الإسلامية من خلال منبر مجلته المنار.

وقد كان محمد عبده يرى فيه الأمل لقيادة الإصلاح بين المسلمين فقال فيه:

فيا رب إن قدرت رجعي قريبة
إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً
(رشيدا) يضيء النهج والليل قائم

أما العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني فيقول عن الدور المركزي لرشيد رضا: (السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله- له فضل كبير على العالم الإسلامي، بصورة عامة، وعلى السلفيين منهم بصورة خاصة، ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة النادرين الذين نشروا المنهج السلفي في سائر أنحاء العالم بوساطة مجلته المنار،..). ويقول أيضاً: (فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة، ليطلع عليها من بَلغته، فإنني بفضل الله عز وجل، بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم). [حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه: ١/ ٤٠٠].

أما العلامة ابن عثيمين فيقول عن موسوعية رشيد رضا: (ولا ريب أن العلماء، علماء الشريعة، عندهم علم في الاقتصاد وفي السياسة، وفي كل ما يحتاجون إليه في العلوم الشرعية، وإذا شئت أن تعرف ما قلته فانظر إلى محمد رشيد رضا رحمه الله صاحب مجلة المنار في تفسيره وفي غيرها من

(*) كاتب أردني.

كتبه) [موقع الشيخ، كتاب العلم، سؤال رقم ٧٥].

مولده ونشأته:

ولد إمامنا في قرية القلمون، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط من جبل لبنان، والتي تبعد عن مدينة طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وذلك في٢٧ جمادى الأولى١٢٨٢ هـ، ٢٣ سبتمبر ١٨٦٥م، والقلمون جميع أهلها في الأصل من السادة الأشراف، وكانت عائلته عائلة متدينة عرفت بالعلم والرياسة والإرشاد، فجده الثالث بنى مسجد القرية وتولى أعمال الإمامة والخطابة والتدريس، ووالده «علي رضا» كان شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها.

وقد كان منزلهم مقصد الحكام والعلماء والوجهاء والأعيان حتى من غير المسلمين، وقد أثر هذا في رشيد رضا بحسن تعامله مع طبقة الأعيان ومخاطبة غير المسلمين والتعامل معهم بما يحقق الوفاق.

تعلم في كُتاب القلمون قراءة القرآن والخط وقواعد والحساب، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية الابتدائية بطرابلس، فتعلم الصرف والنحو والحساب ومبادئ الجغرافيا وعلم العقيدة والفقه، لكنه لم يستمر فيها إلا سنة واحدة لأنها كانت تعلم بالتركية، ثم التحق سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التي أسسها وأدارها الشيخ حسين الجسر، الذي يعد أستاذه الأول، وكانت المدرسة تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، ولأن الحكومة العثمانية لم تعترف بها مدرسة دينية يعفى طلبتها من التجنيد، فقد أغلقت أبوابها وتفرق طلبتها بسبب جهل الحكومة وقصر نظرها!

بدايته في طلب العلم:

وحين أُغلقت المدرسة، توثقت صلة رشيد رضا بشيخه الجسر، واتصل بحلقاته ودروسه، حيث أحاط الشيخ الجسر «رشيد رضا» برعايته، وكان رشيد لا يهتم بالحفظ للجزئيات، ويركز على فهم الأمور والتعبير عنها بطريقته فنبغ ولم يكن يكرر المحفوظات كالببغاء ما يلقن دون فهم كغالب الطلاب، ثم أجازه شيخه الجسر سنة١٨٩٧ م لتدريس العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وفي الوقت نفسه درس «رشيد رضا» علم الحديث على يد الشيخ «محمود نشابة» وأجازه أيضًا لرواية الحديث، كما واظب على حضور دروس نفر من علماء طرابلس مثل: الشيخ عبد الغني الرافعي، ومحمد القاوقجي، ومحمد الحسيني، وغيرهم.

وقد كان لهؤلاء المدرسين بالغ الأثر على نشأة رشيد رضا العلمية والإصلاحية، فهم علماء أجلاء درس معظمهم في الأزهر سنوات طويلة، ولم يكونوا كعامة الأزهريين بل تبنوا توسيع دائرة العلم فلم يرفضوا العلوم الحديثة بل نشروها بين الطلبة، ولم يشجعوا البدع والخرافات، ولهم ملاحظات ومؤاخذات على مزالق التصوف، وكان لهم عناية بعلم الحديث النبوي، ومن هنا جاءت عناية رشيد رضا بالسنة والبحث في أسانيد الأحاديث ورفض الضعيف والموضوعات منها.

قال رشيد في رثاء شيخه محمود نشابة (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م):

من كان عن خشية لله منكسراً

ولا عن رفعة للناس جانبه

من أحييت السنة الغرا مآثره

وأفنت البدعة السودا قواضبه

والقواضب هي الأسنان!

وقال في رثاء شيخه عبد الغني الرافعي (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م):

لهفي ولهف جميع المسلمين على
محيي الشريعة رب الفضل والفضلا
من أيد السنة الغرا بحكمته الـ
مثلـــى وللبدعة العمياء قد خذلا

وتسخير الله عز وجل هؤلاء العلماء الأجلاء هو من العناية الربانية برشيد رضا، ومن نتائج هذه الرعاية الربانية تخلصه من التقليد والتعصب المذهبي إذ أنه درس في هذه المرحلة المبكرة من عمره جزءاً من نيل الأوطار للشوكاني على شيخه عبدالغني الرافعي، ودرس الحديث والمصطلح على المحدث محمد القاوقجي ثم اقتنى مبكراً كتاب شرح إحياء علوم الدين بسبب تخريجه أحاديث الإحياء! فأصبح رشيد لا يحتج بحديث إلا كتب معه تخريجه، ثم ترقى فلم يعد يقبل أي تصحيح للحديث يشك فيه إلا أن ينظر في سنده، ولذلك كان الفتى رشيد رضا أول من استحضر كتاب ميزان الاعتدال من الهند لطرابلس!

وقد نفع هذا كله رشيد رضا، فرغم تعلقه بالتصوف مطلع حياته على الطريقة الشاذلية ثم دخوله في الطريقة النقشبندية إلا أن توفيق الله له بالعلم والعقل الذي تميز به جعلاه ينتفع من التصوف بكثرة الذكر والطاعة ولا يقبل الخرافات والكرامات المزعومة والبدع الدخيلة، ولذلك ذهب مرة لرؤية حضرة الطريقة المولوية، فلما بدأ الغلمان المردان يرقصون على نغمات الناي رقصة المروحة ويمرون من أمام شيخهم فيركعون له، تعجب رشيد رضا وسأل عن حقيقة ما يجري، فقيل له: هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي.

فلم يملك نفسه فوقف وصاح بأعلى صوته بما معناه: أيها المسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه، لأنه إقرار له وإنه يصدق على مقترفيه قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: ٥١]، وإنني قد أديت الواجب علي فاخرجوا يرحمكم الله. ومن هنا تكونت شخصية رشيد رضا الصلبة في قول الحق والصدع به والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بدايته في التعليم والدعوة

ومع اجتهاده في التعلم والمطالعة كان رشيد رضا يباشر التعليم والوعظ في قريته القلمون، فقد كان يدرّس في المسجد، ويدرّس في المقهى، بطريقة سهلة بعيدة عن السجع المعتاد، وإنما كانت دروسه آيات من القرآن الكريم يشرحها ويبسطها للناس، وهذا أكسبه خبرة عملية ونظرية بخصوص التربية والتعليم انعكست إيجابياً على مسيرته الإصلاحية، وكانت له دروس للنساء في بيوتهن يعلمهن فيها الفقه والعقيدة.

وبسبب مطالعته لكتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) لابن حجر الهيتمي أبطل كثيراً من العادات السيئة والتصرفات غير الشرعية كوضع الشموع على قبر بعض العلماء مع ربط ذلك بخرق فيها حاجات وطلبات، وكانت هناك شجرة يتبرك بها الجهلة فأمر رجلا بقلعها ليلاً!! ويقول عن نفسه: «كل هذا قد كان مني وأنا طالب للعلم، ولم أكن رأيت شيئاً من كتب الإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية ولا كتب تلميذه المحقق ابن القيم، بل كنت رأيت طعن ابن حجر هذا عليه في كتابه الفتاوى الحديثية وكنت أصدق ما فيها، ثم رأيت في طرابلس كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) ... فعلمت منه أن طبقة ابن تيمية أعلى من طبقة ابن حجر الهيتمي، ... أما الوهابية فلم أكن أعرف عنهم شيئاً، إنما كنت أسمع من الناس أنهم مبتدعة ... وأول كلمة حق وقفت عليها في شأنهم لعلماء سورية كلمة مفتي بيروت العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري في كتابه (تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام) وإنما عرفت تاريخهم بالتفصيل في مصر».

ولم يكتف الشيخ رضا بمن يحضر دروسه في المسجد، بل كان يذهب هو إلى الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها

لشرب القهوة والنارجيلة ولم يخجل من جلوسه معهم ووعظهم وحثهم على الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة بإقبال كثير منهم على أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال على الله؛ كما بعث إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقى عليهن دروسًا في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئًا من العقائد بأسلوب سهل يسير.

وفي هذه المرحلة أيضاً اتصل رشيد رضا ببعض رجال الحكم من خلال والده ومن خلال شيوخه، فقد كان من المعتاد حضور رجال الحكومة لبيتهم لما لوالده من مكانة، ولكن رشيد لم يكن يعجبه تصرفاتهم من لبس ساعات الذهب وما شابه ذلك فكان ينصحهم، ومن هنا تفتح وعي رشيد رضا على أن الإصلاح والدعوة لا يقتصران على العامة بل يشملان الحكام أيضاً.

تعرفه على مجلة العروة الوثقي

حين بلغ رشيد رضا العشرين عمره، سنة ١٣٠٢هـ، تعرف على جريدة العروة الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من باريس، وذلك من خلال بعض المصريين المنفيين على يد الإنجليز عقب ثورة عرابي باشا في مصر، يقول رشيد: «إنني لا أزال أتذكر أنه كان بدارنا في القلمون بجوار طرابلس الشام (في سنة ١٣٠٢هـ) ضيوف من المصريين المنفيين بسبب الحوادث العرابية، فجاءت جريدة العروة الوثقى مساء، فأخذها الأستاذ الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي ... وأنشأ يقرؤها بصوت جهوري كأنه خطيب ... ولم أكن في ذلك الوقت أعنى بشيء من مثل هذا، بل كانت تلك السنة هي السنة الثانية لاشتغالي بطلب العلم».

ثم بعد مدة وقع رشيد رضا على أعداد منها بين أوراق أبيه «فطفقت أقرأها المرة بعد المرة، وهي تفعل في نفسي فعلها، تهدم وتبني وتعد وتمني، وما كان وعدها إلا حقا ولا تمنيتها إلا رجاء وأملا، أحدثت اصلاحا وعملا، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي، وأقيم عليه بناء عملي وأملي، وأما الأستاذ الأول فهو كتاب إحياء العلوم»، ثم أخذ رشيد يبحث عن بقية أعدادها حتى وجدها كاملة عند شيخه الجسر فنسخها كاملة «فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال، ما قذف بي من طور إلى طور».

فكان للعروة الوثقى تأثير كبير على رشيد رضا في مجالات متعددة، من أولها تغير أسلوبه في الحديث والكتابة والخروج عن طريقة مقامات الحريري السائدة في عصره، ثم وجهته للإصلاح العام وعدم التقوقع على حارة ومسجد أو حتى قرية ومدينة! وعرف منها أسباب فساد حال الأمة من خلال العقائد الفاسدة كالجبر والتواكل والبدع الشائعة والجهل المنتشر، ودلته على طريق الإصلاح بالعلم واطراح البدع والتمسك بالأصول في الكتاب والسنة. وعرف منها ضرورة وحدة المسلمين وتقوية دولة الخلافة وإصلاحها لتصمد في وجه المطامع الأوروبية الاستعمارية.

ويلخص رشيد رضا أثر العروة الوثقى عليه فيقول: «وأحدث لي هذا الفهم الجديد في الإسلام رأيًا فوق الذي كنت أراه في إرشاد المسلمين، فقد كان همي قبل ذلك محصورًا في تصحيح عقائد المسلمين، ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا، فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات، فطفقت استعد لذلك استعدادًا ...».

وأصبح رشيد رضا في شوق عظيم للتواصل مع

الأفغاني وعبده مباشرة وليس عبر صفحات العروة الوثقى، وفعلا تهيأت الفرصة باستقرار محمد عبده في بيروت عقب إغلاق العروة الوثقي خمس سنوات، وأصبح رشيد يتابع أخبار محمد عبده وإصلاحه من خلال التدريس بالمدرسة السلطانية هناك، ولما جاء عبده لزيارة طرابلس التقى به رشيد رضا وبعض الطلبة، وظل رضا يستفيد من عبده من خلال متابعة كتبه وخاصة ترجمته لكتاب الأفغاني (الرد على الدهريين).

ومن تأثير العروة الوثقى على رضا أنه بدأ يكتب في الصحافة خاصة بعد أن أسس شيخه حسين الجسر جريدة طرابلس، وأصبح مقال رشيد رضا من أهم المقالات فيها، لما فيه من قوة وجدة وتأثر بأفكار الأفغاني وعبده.

ومن تأثير الأفغاني وعبده على رشيد رضا أنه قام بتأليف كتاب سماه «الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية» ردا على كتب أبي الهدى الصيادي الصوفي، مستشار السلطان عبدالحميد، التي نشرها الصيادي في كل البلاد ليمجد فيها نفسه وأهله وطريقته وملأها بكراماته وفضله على أقطاب الصوفية، ولم ينشر رضا هذا الكتاب الذي بلغ مجلدا كبيرا ويعد باكورة أعماله، وان كان نشر بعض أجزائه في السنة الأولى من المنار، وبقي هذا الكتاب كأصل لمنهج الإصلاح الذي سار عليه رضا.

وبعد سنوات التقى رشيد رضا بمحمد عبده في طرابلس سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م حين جاء إلى سورية سائحاً وزار طرابلس فذهب رشيد وقابله، ولازمه مدة بقائه فيها.

وبقي التواصل قائما بينهما بعد عودة عبده لمصر، وهنا أصبح رشيد يأمل أن يتصل بالأفغاني أيضاً فأرسل رسالة له في الآستانة (اسطنبول) مع أعز أصدقائه، وقد أعجب الأفغاني بها وشكره عليها لكنه كان موضوعا تحت الإقامة الجبرية نوعا ما فلم يستطع تلبية دعوته لزيارته، ولما ضيقت السلطات العثمانية على الأفغاني جاهر رشيد رضا بحبه واعتزازه بالأفغاني.

ولقد كان رشيد رضا يدرك أن الأفغاني وعبده قد اختلفت بهما السبل بعد إغلاق العروة الوثقى، فآثر الأفغاني الطريق السياسي الأسرع والأسهل، واختار عبده الطريق التعليمي التربوي الأثبت والأدوم.

ولما بلغه رضا خبر وفاة الأفغاني وتضييق الخناق على إصلاحه في سوريا جراء تعنت السلطات، كان لابد من الخروج إلى مصر لجوار أستاذه محمد عبده ليواصل مسيرة الإصلاح التي آمن بها، فخرج هارباً متخفياً حتى لا تمنعه السلطات العثمانية.

رشيد رضا في مصر وإنشاء مجلة المنار

دخل رشيد رضا مصر سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م، وكان عمره ٣٣ سنة وقد اكتملت رجولته وظهرت شخصيته العلمية والفكرية المستقلة، ويمكن أن نقول إن رشيد جاء إلى مصر سلفياً، وإن كانت سلفيته تعمقت بمصر بسبب توفر الكتب السلفية والسلفيين أكثر من طرابلس، يقول رشيد: «فعُلم مما تقدم أنني جئت مصر مستعداً لهذا الإصلاح كأنني خلقت وتعلمت وربيت لأجله».

وكان رشيد قد عزم على إنشاء مجلة فكرية إصلاحية تواصل مسيرة العروة الوثقى، وبعد عدة أشهر من وصوله ولقائه بعبده فاتحه في الأمر، وكان عبده غير متحمس للفكرة ويرى أنها لن تنجح، لكن إصرار رضا وإعلانه عن استعداده لتحمل نفقات سنة أو سنتين دون ربح شجع عبده على الموافقة، وقد اشترط رضا على عبده شرطاً للعلاقة بينهما، هو: «أن أسأل عن حكمة ما لا أعقله، ولا أقبل إلا ما أفهمه، ولا أفعل إلا ما اعتقد فائدته»، وهذا يؤكد استقلالية رضا وتميزه برغم حبه لعبده واحترامه البالغ له.

وبالمقابل وجه عبده لرضا ثلاثة توجيهات في

إدارة المنار هي: ألا تتحزب لحزب، ألا ترد على انتقادات الصحف الأخرى لها، ألا تخدم أفكار أحد من الكبراء. وهذا يدل على الوعي المبكر بحاجة الإصلاح للاستقلال وعدم التبعية للساسة والتجار!! لأن الوضع الصحيح تبعية هؤلاء والعامة للمصلحين.

وفعلا صدر العدد الأول من المنار في ٢٠ شوال ١٣١٥هـ - ١٨٩٨/٣/١٧م، لتبدأ مشوار نشر الوعي والمعرفة ومحاربة الجهل والخرافة والبدع، وإرشاد المسلمين لطرق التربية والإصلاح.

وبعد عدة أعداد نصح عبده رضا بعدم الصراحة التامة حتى لا يكثر خصومه، والبعد عن غريب اللغة والحرص على سهولة العبارة لتتسع مساحة المستفيدين من المنار ولا يقتصر على الخواص، والبعد عن الخوض في نقد سياسة الدولة العثمانية.

ورغم أن عبده هو أستاذ رضا الذي نهل من مقالاته وأحاديثه، إلا أن المنار كانت مقالات رضا وفكره، ولما ظن بعض الناس أن عبده هو الكاتب الحقيقي للمنار، أعلن رضا عن خطأ ذلك بوضوح وقال: «كل ما ينشر في المنار غير معزو إلى أحد فهو لصاحب المنار فكراً وعبارة»، وحتى التفسير الذي نشر في المنار، كان رشيد يحضر الدرس ويكتب فيه بعض المذكرات بأهم ما قاله عبده، ثم يبيضها ويضيف إليها ما يراه مناسباً، ويطلع عبده عليها فربما نقح بإضافة أو حذف لكلمة، قال رضا: «ولا أذكر أنه انتقد شيئاً، بل كان راضياً بالمكتوب بل معجباً به. على أنه لم يكن كله نقلاً عنه ومعزواً إليه، بل كان تفسيراً للكاتب من إنشائه، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما استفاده منها. وبعد أن توفاه الله تعالى، صرت أرى من الأمانة أن لا أعزو إليه إلا ما كتبته عنه أو حفظته حفظاً»، ويؤكد هذا استمرار رضا بالتفسير بعد عبده ٣٠ سنة.

وما أن ظهرت المنار ووصلت أخبارها للدولة العثمانية، وخاصة الشيخ أبو الهدي الصيادي، حتى أوعز بمنعها ومصادرتها من البريد، وفعلا جمع العدد الثاني وأحرق، ومن ثم قام بالتضييق على عائلة رضا واضطهادهم لإرغامه على إيقاف المنار، وكلفوا والده بالسفر إليه في مصر لإقناعه بإيقاف المجلة!

وكما حصل مع العلامة الألوسي في العراق، حاول الصيادي إغراء رضا بالمناصب والتكريم إذا قدم عليه بالأستانة، ولكن رشيد رضا رفض هذه الإغراءات، فكانت النتيجة أن هاجم أعوان الصيادي أسرته بالقلمون، فضربوا أخوه ليلا، وانتزعوا المسجد منهم، وحرّضوا علماء طرابلس على مهاجمة المنار في الصحف، وأرسلوا لمصر من سرق كل ما في مكتب المنار!

وبقي هذا العداء من السلطات العثمانية للمنار مستمراً، وفي السنة الثامنة للمجلة روجوا إشاعة أن والد رشيد يتآمر مع عبده لإنشاء دولة عربية مستقلة، وتم لذلك تفتيش البيوت، وأخذ الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم التي قد تضرهم عند السلطات، فأحرقت عشرات الألوف من المجلدات، هكذا كانت أحوال خاتمة الدولة العثمانية!

وتم محاصرة منزل والد رشيد وسجن أولاده، ورفضت السلطات أن تحضر أولاده لرؤية والدهم ووداعه وهو يحتضر، وعلق على ذلك رضا بقوله: «تدل ببأسها وشدتها، وتمثل قوة الخلافة الحميدية وعظمتها، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عربية في قرية القلمون».

ثم حين تضايق حكام مصر من رشيد رضا والمنار بسبب إصراره على الإصلاح ووفائه لأستاذه محمد عبده حتى بعد وفاته، لجأوا إلى الإيعاز لوزارة الداخلية أن رشيد رضا مطلوب للتجنيد العسكري في الدولة العثمانية بحسب مخاطبات رسمية وصلتهم منها، فأظهر لهم رضا أنه حائز على الإعفاء من التجنيد أصلاً، وثانيا أنه قد تجاوز سن

التجنيد! وهذا جزء من معاناة رضا في سبيل نشر الإصلاح، رحمه الله.

ولكن هذا لم يفت في عضد رضا بل زاده إصرارا على الإصلاح، ولم يثنه عن عزمه أيضا زهد البعض بالمنار في البداية بل كان متأكدا أنهم سيعودون إلى المنار طال الزمن أو قصر، وفعلاً، بعد عدة سنوات أصبح الكثيرون يبحثون عن الأعداد الأولى للمنار والتي احتفظ بها رضا لسنوات، ولما نفدت أعاد طبع بعض الأعداد لتلبية الطلب عليها، وقد وصلت المنار أصقاع الدنيا كلها، حيث وصلت روسيا وسنغافورة وأندونيسيا شرقا، والأرجنتين غرباً! وحين زار عبده تونس والجزائر دهش من قوة تأثير المنار هناك حتى أصبح فيهما جماعة وحزب وأصدقاء لعبده ورشيد يحملون همّ الإصلاح والإرشاد.

بقيت المنار تصدر لمدة ٣٧ عاماً، في ٣٥ مجلدا، وقد صدر العدد الأخير في ٢٩ ربيع الآخر ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥/٧/٣٠م، أي في العام الذي توفي فيه رضا، وقد صدرت في المجلد الأول بشكل أسبوعي بواقع ٨ صفحات، ومن المجلد الثاني حتى التاسع أصبحت نصف شهرية كل عدد يحتوي على ٤٠ صفحة، ومنذ عام ١٩٠٦م حتى توقفها أصبحت شهرية بواقع ٨٠ صفحة، لكن من عام ١٩١٥م أصبحت سنة المنار ١٠ أعداد فقط بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، ثم استمرت على ذلك، وتعرضت لبعض الانقطاعات بسبب سفر رشيد، أو خلل في المواعيد بسبب العجز المالي وأزمات شح الورق.

لقد كانت المنار حلم وأمنية ورسالة رشيد في الحياة، قال عنها: «إنني لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أنالها ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الأقران، وأباري به أعلياء الشأن، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته وتأثم الأمة كلها بتركه».

قال أحد المستشرقين عن أثر المنار: «لم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها، وعلى مسلمي أرخبيل الملايو...»، وقال شكيب أرسلان عن عظم جهد رضا: «انصرف رشيد رضا بكليته إلى أعمال القلم، وصار يكتب في الساعات ما لا يقدر أن يسدده غيره في الأسابيع ... كان إذا أمسك بالقلم تدفق نحواً وصرفاً وبياناً وبديعاً وفقهاً وحديثاً وتفسيراً وتوحيداً وفروعاً وأصولاً وكل ذلك في نسق واحد».

ومن الطرائف التي تكشف عن دور رشيد رضا والمنار في ذلك الزمان، ما روي عن والدته أنها رأته يوما حزيناً، فسألته: هل مات أحد من المسلمين في الصين؟ وذلك تعبيراً عن مساحة همّه واهتمامه بشؤون الإسلام والمسلمين.

ولذلك أصبح رضا مقصد الباحثين والمستشرقين والجمعيات العلمية تمنحه عضويتها وتتشرف بمراسلته ودعوته.

جوانب الإصلاح في مسيرة رشيد رضا

من الصعب جداً في صفحات قليلة أن نوجز الجهود العظيمة التي استغرق رشيد رضا في إنجازها ٣٥ سنة من عمره، ولتشعب وتعدد هذه المجالات سنقتصر على أبرزها.

١- **الإصلاح الديني**: وهو يشمل نقد الأوضاع القائمة في سلوكيات العوام والعلماء وتقديم البدائل الصحيحة، وقد كانت غالب مقالات ودروس رشيد رضا تصب في هذا الاتجاه، وكذلك كتبه واقتراحاته لإصلاح الأزهر، كانت تهدف لتغيير نمط التدريس ورفع سوية المقررات، وتنظيم شؤون الأزهر المالية وتجديد العلوم التي تدرس به وضخ دماء جديدة بين المعلمين، وتفعيل دور الطلبة بالوعظ في الإجازات الصيفية في القرى والنجوع، وفصل هذا في كتابه (المنار والأزهر).

وكان للطرق الصوفية النصيب الأكبر من

نقده وخاصة الشعائر الجماعية التي ترسخ الجهل والتواكل وتنتشر فيها الفواحش والمنكرات كالموالد والحضرات.

ودعا رضا للاجتهاد ونبذ التقليد الذي كان يعتبره سبب لجوء بعض الحكام لتحكيم غير الشريعة بسبب جمود بعض الفقهاء ورفضهم للاجتهاد في مستجدات العصر، فلجأ الحكام لاستيراد القوانين الوضعية، وكان باب الفتاوى في المنار نموذجاً للتحرر الفقهي والتطبيق العملي للفقه المقارن وفقه الدليل وفتح باب الاجتهاد المعاصر.

ونصر رشيد رضا منهج السلف بكل وضوح ومن ذلك قوله: «وكنا نظن في أوائل الطلب أن مذهب السلف ضعيف، وأنهم لم يؤولوا كما أول الخلف، لأنهم لم يبلغوا مبلغهم من العلم والفهم، لا سيما الحنابلة أو بعضهم، ولما تغلغلنا في علم الكلام وظفرنا بعد النظر في الكتب التي هي منتهى فلسفة الأشاعرة بالكتب التي تبين مذهب السلف حق البيان لا سيما كتب ابن تيمية علمنا علم اليقين أن مذهب السلف هو الحق الذي ليس وراءه غاية ولا مطلب، وأن كل ما خالفه فهو ظنون وأوهام لا تغني من الحق شيئاً».

وقد لقيت دعوته هذه قبولا، فيقول: «ونحمد الله تعالى أن رأينا تأثيرا كبيراً لدعوتنا المسلمين لهداية الكتاب والسنة فصار يوجد في مصر وغيرها ألوف من الناس على هذه الهداية، ومنهم الدعاة إليها وأولو الجمعيات التي أسست للتعاون على نشرها، على تفاوت بينهم في العلم بها، وجهل بعضهم أصل هذه الدعوة ومن جدد نشرها».

ونشر رشيد رضا علم السنة بأبحاثه في مجلة المنار ولو كانت فائدة هذه الأبحاث فقط استفادة الشيخ الألباني منها وتوجهه لطلب علم الحديث حتى صار من أعلامه الكبار في تاريخ الأمة لكفى رشيد رضا فضلاً.

٢- **الإصلاح التعليمي:** استفاد رشيد رضا من تجربة الأفغاني وعبده بأهمية دور التعليم في نشر الإصلاح وترسيخه في الأمة، ولذلك كان دائم التفكير - بعد إصدار المنار- في إنشاء مدرسة أهلية مستقلة تستقطب نجباء الطلبة من بلاد المسلمين وتعلمهم وتربيهم ليكونوا رسل الإصلاح ودعاة الإرشاد، وكانت الفكرة عند رشيد منذ فتوته: «كنت في أيام طلبي للعلم في طرابلس الشام أتردد بعد الخروج من المدرسة إلى مكتبة المبشرين الأميركانيين، أقرأ جريدتهم الدينية وبعض كتبهم ورسائلهم، وأجادل قسوسهم ومعلميهم، وأتمنى لو كان للمسلمين جمعية كجمعيتهم، ومدارس كمدارسهم، ولما هاجرت إلى مصر وأنشأت المنار قويت عندي هذه الفكرة».

وكان رشيد يعتبر هذا المشروع أكبر أهدافه في الحياة لأنه يجمع شمل المسلمين على اختلاف عرقياتهم، ويعمل على تكوين قادة ودعاة تنير عقولهم العلوم النافعة والتربية الصالحة، وقد بدأ تنفيذ الحلم سنة ١٣٢٣هـ بمقال في المنار بالدعوة إلى تأسيس جمعية الدعوة التي ستؤسس مدرسة لتخريج الدعاة، وفعلا استجاب عدد من الفضلاء للفكرة وعقدت عدة اجتماعات.

ثم طرح مصطفى كامل فكرة إنشاء الجامعة المصرية وحصلت العسرة المالية في مصر فتوقفت الفكرة، لكن رشيد لم ييأس. وفي سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م سافر رضا للآستانة بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد، وعرض فكرة إنشاء جمعية ومدرسة الدعوة والإرشاد على رئيس الوزراء حسين حلمي، الذي وعده بتقديم المساعدة، لكن سرعان ما تغيرت الوزارة وجاء إبراهيم حقي.

ولكن قام في وجه رشيد رضا ملاحدة من جماعة حزب الاتحاد والترقي فعطلوا الفكرة، ثم حاولوا الالتفاف على الفكرة فعرضوا على رشيد أن يؤسس المدرسة باسمه ولاحقا يمنح رخصة الجمعية، فرفض رشيد حتى لا تكون المدرسة

لورثته وهو يريدها للأمة، وفي هذا دلالة على وعي رشيد بأهمية الدور المؤسس للأعمال الإصلاحية وأن لا تبقى محصورة في أشخاص.

ثم تقرر إنشاء جمعية العلم والإرشاد، وحذفت الدعوة والتبشير من أهدافها، وتم اقتصار غايتها على دعوة المسلمين فقط، برغم أن من دواعي تأسيس المدرسة تهيئة دعاة مؤهلين لدعوة غير المسلمين، ووافق رشيد على ذلك، واختير عدد من الفضلاء لتأسيس الجمعية، ثم حين طالب رشيد بصرف الدعم المالي الذي وعدوا به، جاء الرد باشتراط وضع المدرسة تحت إدارة ومسؤولية شيخ الإسلام، فلم يقبل أعضاء الجمعية بذلك، وكان رشيد يدرك أن هذه المدرسة لا يصلح أن تدار بروح الإدارة الحكومية التي تنتج موظفين، لا دعاة ومرشدين مخلصين، فعاد لمصر بعد سنة كاملة حاول فيها دون جدوى.

وعاد رشيد لمصر ليواصل الحلم، وفعلا في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م تأسست جمعية الدعوة والإرشاد، وباشرت التأسيس لإنشاء مدرستها والتي افتتحت في سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، ووضع رشيد رضا نظامها الإداري ومنهجها التعليمي، ونصت في نظامها على الغايات التالية:

❖ مقصد هذه الجماعة إنشاء مدرسة كلية باسم (دار الدعوة والإرشاد) في مصر القاهرة؛ لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، والإرشاد الصحيح، وإرسالهم إلى البلاد الشديدة الحاجة إليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم.

❖ يرسل الدعاة إلى البلاد الوثنية والكتابية التي فيها حرية دينية، ولا يرسلون إلى بلاد الإسلام إلا حيث يُدعى المسلمون جهرًا إلى ترك دينهم والدخول في غيره، مع عدم وجود علماء مرشدين يدفعون الشبهات عن الإسلام ويبينون حقيقته لأهله.

❖ لا تشتغل هذه الجماعة بالسياسة مطلقًا، لا بالسياسة المصرية، ولا بسياسة الدولة العثمانية، ولا بسياسة غيرها من الدول.

وواضح من غايات الجمعية/ المدرسة الوعي المبكر بضرورة فصل العمل الدعوي والتعليمي عن العمل السياسي، خاصة وأن المسلمين واقعون تحت الاحتلال، ولذلك فمن المصلحة والحكمة رعاية وحماية الدعوة والتعليم من الإيقاف والتعطيل.

وقد قام بالتدريس فيها نخبة من المدرسين الذين غدوا من العلماء والمصلحين، ومنهم: الشيخ حامد الفقي، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والعلامة محب الدين الخطيب، وممن تعلم في هذه المدرسة: الحاج أمين الحسينى مفتي فلسطين، وكان فيها طلبة متنوعون أتراك وشركس وهنود وجاويون وغيرهم، ومع وقوع الحرب العالمية الأولى اضطربت الأحوال وتوقفت الهبات والإعانات، وللأسف توقفت المدرسة في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، واستمر رشيد رضا في طريق الإصلاح بالمنار والمحاضرات ومتابعة الشؤون العامة، ولكن بقيت للجمعية آثار كبيرة من خلال المدرسين الذين تفرقوا في البلاد وحاولوا اعادة التجربة بشكل أو آخر أو من خلال الطلبة الذين أصبحوا قادة في بلادهم ومجتمعاتهم مثل الحاج أمين الحسيني الذي قاد ثورة الشعب الفلسطيني ضد بريطانيا واليهود.

ومن الإصلاح التعليمي لرشيد رضا أنه ساهم في وضع مناهج مدرسية لعدد من المدارس في الكويت والبحرين والهند، وذلك من خلال رحلاته وزياراته.

٣- **الإصلاح المؤسساتي:** كان رشيد رضا يدرك أهمية إنشاء الجمعيات وأنها تجمع الطاقات وتعظمها وتكسبها الاستمرارية، وأنها سبيل نهضة الأمة، فيقول عن دور الجمعيات في تربية الأمة ونهضتها: «وإنما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الأمة ديناً وعقلاً وأدباً بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية، فإن لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون، فإن الأمة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها إصلاح».

وكان يسعى لتكوين الجمعيات المتخصصة، فجمعيات تعليمية وجمعيات سياسية وجمعيات اقتصادية، وهكذا، فيقول: «وزماننا هذا زمان

الجماعات العلمية والأدبية والسياسية، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية».

وكان رضا يعرف أن المنار مبادرة فردية تنتهي بحياته، وأن المهم هو وجود مؤسسات لا ترتبط بحياة أصحابها وتستمر في حمل الدعوة والإصلاح، ولذلك حين صدرت مجلة نور الإسلام التابعة للأزهر بشكل رسمي، قرضها في المنار وتمنى «أن تكون خيراً من المنار في خدمة الإسلام لما يرجى من دوامها بكونها لمصلحة إسلامية غنية لا شخص قد تموت بموته». وفعلا كان لرشيد دور مركزي في إنشاء الجمعيات في مختلف البلدان الإسلامية وفي مختلف المجالات.

٤- **الإصلاح السياسي:** مارس رشيد الرضا السياسة بكافة أشكالها ومواقعها، المعارضة والحزب والنيابة والمسؤولية السياسية والعلاقة مع الحكام والتفاوض مع الأشقاء والتحالف مع المختلفين ومخاطبة قادة الاحتلال ولقاء الساسة في أوروبا.

وهذا باب واسع يحتاج إلى كتاب مستقل لمعرفة تفاصيله ولعله أكثر ما كتب عنه وركز على هذا المجال، ولم يقتصر إصلاحه السياسي على الممارسة بل شمل التنظير لرؤية شرعية سياسية معاصرة فصلها في كتابه (الخلافة) والعديد من المقالات في المنار، وأيضاً كانت له مواقف وتحليلات سياسية مبكرة في غاية الدقة والخطورة، فهو أول من حذر من المشروع الصهيوني الزاحف لاحتلال فلسطين عقب مؤتمر بال الصهيوني سنة ١٨٩٧م، ففي مقال له سنة ١٩١٠م يقول عن اليهود: «هدفهم أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك إسرائيل».

ومن قبل كان أول من تصدى لطلائع العلمانية وفصل الدين عن الدولة ورد على مقالاتهم ودعاياتهم من سنة ١٨٩٩م، ومما يؤكد هذا العمق السياسي عنده شهادة ابن عمه عبدالرحمن عاصم - الذي لازمه سنوات طويلة جداً كمساعد وسكرتير- : «كان السيد يدرك من أسرار السياسة وغوامضها ما يقصر عنه كثيرون من المشتغلين بها».

وفاته:

عاش رشيد رضا ٧٠ عاما قضى أكثر من ٥٠ سنة منها في الدعوة للإصلاح العام والاهتمام بشؤون المسلمين، ومات وهو يؤدي مهمته في الدعوة والإرشاد والنصح للمسلمين، فقد توفي في حادث سيارة وهو عائد من وداع ولي العهد السعودي في مدينة السويس بعد أن اجتمع به وتباحثا في شؤون المسلمين، وذلك سنة ١٣٥٤ه/١٩٣٥م.

ولعل من أفضل ما قيل في حق رشيد رضا على الأمة ما قاله محب الدين الخطيب: «إن السيد رشيد رضا رغم ذيوع اسمه، وطول اتصاله بالجماعات والحوادث والصحافة، كان في علمه وفضله أعمق غوراً من أن يعرفه أكثر الناس كما هو في الحقيقة، وإن الذين عرفوا جوانبه العامرة بالفضل والسبق والتفوق قليلون جداً، ولو أن هذا الرجل الراحل كفي إدارة أعماله كلها وانقطع للتأليف والتدوين وكان في أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها في حياتهم لكان أعظم إنتاجاً من أكبر الرجال الذين يشار إليهم بالبنان في الأمم الأخرى».

مراجع للتوسع:

- سيرته الذاتية في كتابه (المنار والأزهر).
- رشيد رضا الإمام المجاهد، د. إبراهيم أحمد العدوي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤م.
- من أعلام الإحياء الإسلامي، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٦م.
- السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية، د. محمد درنيقة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٦م.
- الإمام محمد رشيد رضا في ميادين المواجهة، فيصل بن عبد العزيز السدحان، مكتبة أهل الأثر، ط١، ٢٠١١م.

بين غلام الخلال والخلاني

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

على الرغم من التشابه الكبير الذي يبدو في كتابة كل من اسمي «الخلال» و«الخلاني»، إلاّ أن ما يفرقهما أكثر بكثير مما يجمعهما، بل إن بين الشخصين بُعد الثرى عن الثريا، فالأول هو الفقيه السني الحنبلي المعروف أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، الذي كان غلاما للخلال، أبرز تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، وقد ذكره الإمام ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في وفيات سنة ٣٦٣هـ، فقال: (الفقيه الحنبلي، المعروف بغلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان، وممّن صنف وجمع وناظر، وسمع الحديث عن أبي القاسم البغوي وطبقته، وكان عمره يوم توفي فوق الثمانين. قال ابن الجوزي: وله «المقنع» في مائة جزء، و«الشافي» في ثمانين جزءا، و«زاد المسافر»، و«الخلاف مع الشافعي»، وكتاب «القولين»، و«مختصر السنة»، وغير ذلك في التفسير والأصول).

أما «الخلاني» فهو اللقب الذي اشتهر به ثاني سفراء المهدي المنتظر عند الشيعة الإثنى عشرية، واسمه: محمد بن عثمان بن سعيد العمري (توفي: ٣٠٥هـ)، وهو أحد أربعة أشخاص من الشيعة ادّعوا أنهم ينوبون عن المهدي خلال غيبته الصغرى التي امتدت حوالي ٧٠ سنة (٢٦٠ - ٣٢٩هـ)، وكانوا يدّعون مشاهدته واللقاء به، وإيصال الأموال إليه، ونقل الرسائل و(التواقيع) منه إلى المؤمنين به.

ويقول الشيعة إن تسميته بالخلاني نسبةً إلى بيعه الخَلّ؛ أو لأنه كان لا يحقد على الناس فهو خلٌّ وفيّ. ويقولون أيضا إنه صار سفيرا أو نائبا للمهدي بإيعاز منه بعد وفاة والده (السفير الأول). وللخلاني (وكذلك بقية السفراء) مكانة عظيمة عند الشيعة، الذين يزورون قبورهم بكثير من التعظيم والإجلال، وقد جعلوا لها طقوسا معينة، وأذكارا يقرؤونها، فصّلها بعض علمائهم كالطوسي في كتابه (تهذيب الأحكام) وابن طاووس في (مصباح الزائر).

ويعتبر قبر الخلاني من أهم مزارات الشيعة

(*) كاتب أردني.

في العاصمة بغداد، وقد اعتنوا به عناية فائقة، لكن ما نريد أن نسلط عليه الضوء في هذه السطور هو أن هذا المقام الذي يجلّه الشيعة إجلالا عظيما هو في الحقيقة قبر غلام الخلال، وقد استولى عليه الشيعة وعلى الجامع في الخمسينيات من القرن الماضي إبّان الحكم الملكي للعراق !!

وقبر الخلال، الواقع في مقبرة الفيل، هو نقطة في بحر المساجد والأوقاف والمعالم السنية التي استولى عليها الشيعة في العراق، خاصة بعد سيطرتهم على حكم العراق في أعقاب الاحتلال الأمريكي لهذا البلد سنة ٢٠٠٣م. وهو يعكس جزء من نفسيتهم الإقصائية، ورغبتهم الجامحة بتشييع العراق (وبغداد خاصة) وإزالة أي أثر لأهل السنة فيهما.

ويقع القبر المنسوب للخلاني في شارع الجمهورية قرب الباب الشرقي من بغداد، مِن جانب الرصافة، وقد كان المؤرخون والباحثون (وبعضهم شيعة) يشيرون إليه باسم قبر الخلال، ومنهم المؤرخ الشيعي المعروف الدكتور مصطفى جواد، الذي يبين أن الخليفة العباسي، الطائع لله (٣٦٣هـ - ٣٨١هـ) استحدث بابا جديدا لدار الخلافة في بغداد هو (باب الخاصة) وكان الباب يطل على دار الفيل وباب مكواذي واتخذ عليه منظرة واتفق أن كان الطائع يوما في هذه المنظرة فجوزت عليه جنازة أبي بكر غلام الخلال، فرأى الطائع فيها ما أعجبه فتقدم بدفنه في ذلك البراح الذي تجاه المنظرة وجعل دار الفيل وقفا عليه[1].

ومما يؤيد ذلك أن مقبرة الفيل التي يقع فيها القبر هي مقبرة سنية للحنابلة، لا يُعقل أن يُدفن الخلاني بينهم، وتقع المقبرة في محلة باب الشيخ عبدالقادر الجيلي (الكيلاني)، الذي يقع قبره بالقرب من قبر الخلال، والرصافة كما هو معروف منطقة سنية في حين أن شيخ الشيعة عبّاس القمّي في كتابه (الكنى والألقاب) يقول: «قال بعض فضلاء **الكرخ** والزوراء إنه لقب بالخلاني نسبة إلى بيعه الخل...». والشاهد في كلام القمي أن الخلاني كان في الكرخ (المنطقة الشيعية) وليس في الرصافة.

وممن أشار إلى اسم الخلال لا الخلاني: ابن الدبيثي في ترجمة عبد الله بن صالح الأنباري المتوفى سنة ٥٩١هـ، حيث ذكر بأنه دُفن بباب الأزج بمقبرة الخلال، وتعرف بمقبرة «الفيل» وذلك في كتابه (المختصر المحتاج اليه، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٦٣م).

ومنهم: المؤرخ المعروف أحمد سوسة، في خارطة رسمها لمدينة بغداد، وبيّن معالمها التاريخية المعاصرة، وقد أشار بوضوح إلى الموقع، وسماه (جماع الخلال)[2].

إضافة إلى بعض الكتاب المعاصرين ممن لهم عناية بالتاريخ ومنهم: الباحث المؤرخ سامي ندا جاسم الدوري، في مقاله «نظرات الاعتدال في الصحابة والآل»، وهو منشور في شبكة الإنترنت.

وقد حاول بعض علماء أهل السنة إعادة المسجد المغتصَب إلى حاضنته السُّنّية، ومِن هؤلاء: الشيخ صبحي السامرائي رحمه الله، لكن الموقف الحكومي آنذاك لم يكن مؤيداً لهذا التوجّه[3].

---

(١) بغداد بين الأمس واليوم، جمال بابان، موقع صوت العراق، ٢٠٠٩/١١/١٦، على الرابط:
http://www.sotaliraq.com/articlesiraq.php?id=52299#ixzz2bFSV8Ldd

(٢) الدليل الجغرافي في العراق، الدكتور أحمد سوسة، طباعة دائرة المساحة، سنة ١٩٦٠م.

(٣) مقال: جهود الشيخ المحدّث صبحي السامرائي رحمه الله في مقاومة التشيع في العراق، عبد العزيز بن صالح المحمود وعبد الله بن عبد اللطيف الكرخي، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6297

إيران وأحداث مصر.. فتّش عن المصلحة

أسامة الهتيمي(*)– خاص بالراصد

عندما قررت جماعة الإخوان المسلمين المصرية، وعلى رأسها الرئيس الدكتور محمد مرسي الذي تولى مقاليد الأمور في البلاد لمدة عام تقريبا من نهاية شهر يونيو ٢٠١٢ وحتى نهاية يونيو ٢٠١٣، أن تحدث حالة من التغيير الجوهري في مسار العلاقات المصرية – الإيرانية كانت تنطلق في ذلك من هدفين رئيسيين:

الأول: هو تباين السياسات المصرية الخارجية بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م عما كانت عليه قبل هذه الثورة والتي كانت تؤكد المواقف والأحداث أنها كانت تسير في فلك إرضاء البيت الأبيض الأمريكي دون النظر للمصالح المصرية الخاصة أو الالتفات لأية اعتبارات أخرى عقدية كانت أو سياسية.

والثاني: هو حرص جماعة الإخوان المسلمين ونظام الحكم الجديد على البحث عن شبكة جديدة من العلاقات والتحالفات السياسية كبديل محتمل لتوتر العلاقات مع القوى الدولية الرئيسية «الولايات المتحدة الأمريكية – الاتحاد الأوروبي» في ظل الوعي الكامل بالموقف الإستراتيجي للغرب من الحركات الإسلامية بجملتها فضلا عن أنه لا يمكن مطلقا غضّ الطرف عن أن لحظة الصدام مع الكيان الصهيوني قادمة لا محالة إن لم يكن بشكل مباشر فعلى أقل تقدير كنتيجة للدعم المادي والسياسي الذي سيوجهه النظام المصري لفصائل المقاومة الفلسطينية التي تعد أحدها وربما أهمها وهي حركة حماس امتدادا أيديولوجيا وتنظيميا لجماعة الإخوان.

وعلى الجانب الآخر وجدت الدولة الإيرانية في الثورة المصرية في الخامس والعشرين من يناير فرصتها السانحة لكسر حالة الجمود في العلاقات الإيرانية - المصرية وهو الجمود الذي كان سببا في أن تمنى إيران بالكثير من الخسائر على المستوى السياسي إذ ظلت هذه الحالة حاجزا ومانعا قويا للحد من الطموح الإيراني في المنطقة ما دفعها لأن تسارع في الإعلان عن موقفها من الثورة المصرية التي وصفها مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي بالصحوة الإسلامية وأنها امتداد للثورة الإيرانية التي وقعت عام ١٩٧٩.

وبعيدا عن مناقشة صدق ما طرحه خامنئي من عدمه فإن الدلالة الأهم فيما طرحه هو أن إيران أعلنت بصراحة ووضوح أن رهانها على هذه الثورة ومن ثم فإن المتوقع منها فيما بعد هو الانحياز الكامل لكل تداعيات هذه الثورة لاحقا دون تردد انطلاقا من اعتبار أن ذلك هو خيارات الشعب المصري الذي عبر عن هذه الخيارات في أجواء من الحرية والديمقراطية التي تحققت بعد الثورة.

(*) كاتب مصري.

تناقضات المواقف

حاولت إيران وكنتيجة للقراءة الغالبة في ذاك الوقت والتي كانت تؤكد انتصار الثورة المصرية أن تبدو وكأنها سعيدة بتخلص الشعب المصري من الاستبداد والفساد ومن ثم فهي لم تفتأ تعلن حينئذ استعدادها أن تقدم يد العون للمصريين من أجل مواجهة كل القوى التي تريد أن تعود بمصر إلى الوراء وتجهض حلم المصريين في استكمال أهداف الثورة المصرية إلا أن هذا الموقف الحاسم من الثورة لم يكن بنفس القدر إزاء دعم وتأييد طرف معين في الانتخابات الرئاسية التي أجريت بعد تنحي مبارك بأكثر من عام وهو ما أوقعها في العديد من الإشكاليات والتناقضات التي كشفت عن كثير من براجماتيتها وأنها لا تستهدف إلا مصالحها الخاصة على وجه الخصوص.

ففي الوقت الذي كانت ترى فيه الكثير من الأطراف الإسلامية السلفية أن إيران تتواصل مع جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها المدرسة الأكثر انحيازا لفكرة التقريب كون أن مؤسس الجماعة ومرشدها الأول الأستاذ حسن البنا هو أيضا أحد مؤسسي جماعة التقريب بين السنة والشيعة التي أنشئت في عام ١٩٤٧م في الوقت الذي تواترت فيه الكثير من المعلومات أيضا عن وجود علاقة قوية بين إيران والمرشح الناصري حمدين صباحي فضلا عن المرشح الإسلامي المستقل الدكتور محمد سليم العوا.

وكان نفس الموقف المتناقض هو ما اتسمت به علاقات إيران بالأحزاب والتيارات السياسية المصرية حيث في الوقت الذي وثقت فيه علاقاتها بأطراف قومية ويسارية لدرجة كبيرة جدا وصلت إلى حد أن ينصب بعض هؤلاء من أنفسهم مدافعين ومحامين عن إيران على الرغم من أن النظرة القومية التقليدية تنظر لإيران نظرة عدائية ذلك لأنها تحتل أرضا عربية وساعدت الاحتلال الأمريكي على غزو العراق وغير ذلك من القضايا التي تؤكد كراهيتها للعرب والعروبة.. في الوقت الذي فعلت فيه ذلك كانت توطد من اتصالاتها وعلاقاتها مع شخصيات وأحزاب ذات مرجعية إسلامية وهو الأمر الذي يشير إلى نتيجة واحدة وليس سواها أن إيران كانت تراهن على جميع الأطراف وأنها لم تكن تتحرك كما تحاول أن توهم الجميع بأنها تسعى إلى إقامة دولة إسلامية هنا أو هناك لتكون امتدادا للدولة الخمينية فهذا مما استخدمته كخداع للكثير من القوى والتيارات الإسلامية.

الإخوان إلى الجحيم

بعد أيام قليلة من تولي الدكتور محمد مرسي رئاسة الجمهورية المصرية بدا جليا للغاية أن الثورة المضادة لا تتوقف عن العمل ليلا ونهارا من أجل الانقضاض على ثورة يناير وأنها بدأت تخطو خطواتها القوية في اتجاه تحقيق هذا الهدف وهو ما لم يدركه وبكل أسف الإخوان المسلمون ومَن معهم من الإسلاميين حيث الاعتقاد بأنهم قادرون على وقف زحف وإفشال كل مخططات هذه الثورة المضادة.

وما أن أوشك العام الأول لمرسي على الانتهاء حتى تمكنت الثورة المضادة فعلا وبقيادة الفريق أول عبد الفتاح السيسي القائد العام للقوات المسلحة الذي عينه الدكتور مرسي نفسه خلفا للمشير حسين طنطاوي من الانقلاب على حكمه وإزاحته من المشهد السياسي عبر احتجازه وتوجيه عدة اتهامات له على رأسها التخابر مع حركة حماس وهي الاتهامات التي إن صحت أمام القضاء فسيكون جزاء الدكتور مرسي هو الإعدام.

لقد كان من الطبيعي أن تتخذ بعض دول الخليج وفي مقدمتها السعودية والإمارات موقفا داعما ومؤيدا لهذا الانقلاب حيث رأى كل منهما أن ما حدث ليس إلا استجابة لمطالب الشعب المصري الذي خرج في موجة ثورية جديدة في الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م.

ومنطقية الموقف الخليجي عامة - والسعودي والإماراتي خاصة- تعود إلى كون الدول الخليجية

منـذ البدايـة لم تكـن علـى وئـام مـع أحـداث الربيـع العربـي في مـصر وكانـت ومـا زالـت رافـضة للثـورة ضـد الـرئيس المخلـوع حـسني مبـارك إذ كانـت تـؤثر هـذه الـدول القيـام بعمليـة إصـلاح سياسـي في الـبلاد بـدلا مـن الإطاحـة بـه والـتي كانـت سـببا في إيجـاد حالة من الفوضى العامة في المنطقة.

علـى كـلٍ إن مـا يـشغلنا إزاء هـذه القـضية هـو الموقـف الإيرانـي ممـا حـدث في مـصر في الثالـث مـن يوليـو ثـم مـا تـلاه مـن أحـداث جِسام نقلت مـصر لحالـة سياسـية جديـدة لم يكـن يتـصور أحـد تفاصـيلها قبـل هذا اليوم بساعات قليلة.

ومـرة أخـرى اتـسقت إيـران مـع مواقفهـا المتناقـضة، فهـي وحتـى اللحظـة لم تعلـن وبـشكل رسمـي علـى لـسان أحـد مـسئوليها أن مـا حـدث في مـصر انقـلاب كمـا أنهـا لم تـصفه بأنـه ثـورة كمـا يقـول رجـالات الحكومـة المـصرية الجديـدة وهـو مـا توافـق مـع التـصريحات المتـضاربة للعديـد مـن المـسئولين الإيرانيين من الطرف المدني والعسكري.

بـل وكـان الأبـرز أيـضا الإدلاء بالعديـد مـن التـصريحات المتناقـضة مـن نفـس الـشخص في أيـام متقاربة وهو ما عكس أمرين:

الأول: أن إيـران لم تكـن قـادرة بالفعـل علـى تقيـيم الموقف وإلى أين تسير الأحداث.

الثـاني: أنهـا كانـت تحـاول دائمـا الإمـساك بالعـصا مـن المنتـصف تحـسبا لحـدوث مـا يمكـن أن يغير من المعادلة على أرض الواقع.

ويمكننـا فقـط أن نلقـي نظـرة علـى بعـض التـصريحات الـصادرة عـن مـسئولين في طهـران للتثبت من صحة ما ذهبنا إليه ومنها:

١- انتقـاد الخارجيـة الإيرانيـة لإطاحـة الجـيش المـصري بـالرئيس محمـد مرسـي حيـث قـال عبـاس عراقجـي المتحـدث باسـم الخارجيـة الإيرانيـة في تـصريحات لوكالـة «إيرنـا» الرسميـة:» إن كـل ربيـع يتبعـه صـيف حـار وشـتاء بـارد ويجـب احتمالهمـا ولا ينبغـي للإسـلاميين والثـوار تـصور أن كـل شـي إنتهـى بـل إن هـذه القـضيه هـي حركـة مـستمرة. مـضيفا: «نـرى أنـه مـن غـير الملائـم أن يتـدخل الجـيش في السياسة للإطاحة بمن تم انتخابه ديموقراطيا».

٢- احتفـاء خطبـاء الجمعـة في إيـران بـالانقلاب علـى مرسـي حيـث اعتـبروا أن جماعـة الإخـوان قـد انحرفـت عـن مبادئهـا بعـد صـعودها للحكـم ومـن ذلـك مـا قالـه سـيد حـسن عامـل إمـام جمعـة أردبيـل مـن أن الأحـزاب التابعـة لأمريكـا و«إسـرائيل» لـن تكـون لهـا عاقبـة ونهايـة أفـضل مـن عاقبـة الإخـوان المـسلمين لأنهم خسروا كل شيء في قمار السياسة.

وأضـاف عامـل: إن هـذا النظـام بـدّل الحـرب مـن حـرب بـين المـسلمين والإسـرائيليين إلى حـرب بـين الـسنة والـشيعة ورأى، أن مـا يحـدث فـى مـصر ناشـئ عـن عـدم تـدبر الإخـوان مـشيرا إلى أن مرسـي كـان بـصدد خيانـة القـضية الفلـسطينية بتبعيتـه لأمريكـا والأنظمة الاستكبارية.

فيمـا قـال آيـة اللّه علـم الهـدى خطيـب جمعـة مـشهد: «إن الـشعب المـصرى صـوّت لحـزب إسـلامي لكن هذا الحزب انتهك الأصول».

٣- الموقـف الـذي اتخـذه بعـض قيـادات الجـيش الإيرانـي والـرافض للانقـلاب ومـنهم رئـيس الأركـان الإيرانـي حـسن فيروزآبـادي الـذي دان الجـيش للخطـوة الـتي اتخـذها حيـث اعتـبر تـدخل الجـيش المـصري في الـشؤون الـسياسية علـى خلفيـة الأحـداث المـصرية الأخيرة نقطة سلبية حسب وصفه.

وقـال فيروزآبـادي القريـب مـن المرشـد الأعلـى الإيرانـي: «إن المهلـة الـتي حـددها الجـيش المـصري لمرسـي قبـل عزلـه منافيـة للعقـل والثقافـة الثوريـة لأن الـرئيس المـصري كـان قـد انتخـب بأغلبيـة الأصـوات وهو المسؤول عن العملية الديموقراطية».

وأضـاف: «إن إقـدام الجـيش المـصري علـى اعتقـال مرسـي يعـد خطـأ اسـتراتيجياً فـنحن نأمـل أن يقـدم إخواننـا في الجـيش المـصري علـى الانـسحاب مـن الساحة السياسية على وجه السرعة».

٤- الموقـف المتنـاقض لـوزير الخارجيـة الإيرانـي علـي أكـبر صـالحي الـذي اتخـذ موقفـا رافـضا للانقـلاب وللأحـداث الـتي جـرت في مـصر غـير أنـه لم تكـد تمـر أربـع وعـشرون سـاعة حتـى اتخـذ موقفـا مغـايرا، ففـي العاشـر مـن يوليـو الماضـي وبعـد ثلاثـة

أيام من المجزرة التي عرفت بمجزرة الحرس الجمهوري في السابع من يوليو الماضي والتي راح فيها عشرات الضحايا من أنصار الرئيس محمد مرسي قال صالحي «إنه من المؤسف أن عددا من أبناء الشعب المصري الأبرياء قتلوا في أحداث الحرس الجمهوري الأخيرة، ونحن ندين ذلك بشدة».

لكن وبعد ذلك بساعات قليلة أعلنت الخارجية المصرية أن الوزير محمد كامل عمرو تلقى اتصالاً هاتفياً من نظيره الإيراني نقل خلاله مضمون التصريحات الصادرة بالأمس عن صالحي والتي أكد فيها على أن مصر دولة كبيرة لها دور مؤثر وحاكم في المنطقة وأن الشعب المصري هو الذي يجب أن يحدد مصير بلاده وأن الجيش المصري هو جيش وطني.

ولم يكتفِ صالحي بهذه التصريحات فحسب بل إن الأنباء تواترت عن أن سفره لتركيا بعد ذلك بأيام قليلة كان بهدف نصح الأتراك بعدم الحماس في دعم «الإخوان» بمصر لأنهم تخاذلوا كثيراً أمام أمريكا وإسرائيل وضغطوا على «حماس» لتترك الكفاح ضد إسرائيل.

كانت تلك بعض نماذج للتدليل على براجماتية السياسة الإيرانية التي لا تسعى إلا لتحقيق المصالح الخاصة بعيدا عن المبدئية التي لا تمل من ادعائها.

مفاتيح التفسير

ليس من شك في أن المصلحة هي البوصلة التي تتخذها إيران لكل تحركاتها على المستوى الإقليمي والدولي غير أن ثمة ملاحظات عدة هي ما أوقعت إيران في حالة من الاضطراب والتناقض تجاه الوضع في مصر قبل أن تحسم الموقف لصالح دعم وتأييد الانقلاب.

الأسباب التي دفعت لرفض الانقلاب:

❖ أنها وعت جيدا أن التقارب المصري – الإيراني الذي حدث خلال فترة تولي الدكتور مرسي للحكم كان أحد الأسباب التي استغلتها بعض القوى المناوئة للرئيس مرسي لإثارة الجماهير ضده خاصة في أوساط التيار السلفي الذي يتخذ موقفا شديدا للغاية من الانفتاح على إيران نتيجة التخوف من استغلال إيران لذلك والعمل على نشر المذهب الشيعي خاصة وأن إيران سعت لتوقيع اتفاقيات خاصة بالسياحة الإيرانية في مصر والتي زادت وربما أكدت هواجس هذا التيار وهو ما يعني أن تبقى إيران فزاعة ومن ثم فإن إيران كانت مطالبة بأن ترفض هذا المنطق.

❖ أن إيران لاحظت أن وجوه شبه كثيرة تجمع بين ما تم تجاه الدكتور مرسي وما تم تجاه الدكتور محمد مصدق رئيس الوزراء الإيراني في الخمسينات حيث تمكن الأمريكيون بمساعدة الطابور الخامس في إيران من إحداث انقلاب عليه وعودة الشاه الإيراني للحكم وإحالة مصدق للمحاكمة والحكم عليه بالإعدام ثم التخفيف عنه ليخضع للإقامة الجبرية حتى الموت.

في هذا الصدد ربما شعرت إيران بأن ما يحدث مع مرسي هو نفس ما حدث مع مصدق وعليه فإن الهدف من الانقلاب هو إعادة نظام الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك من جديد لتدخل العلاقات المصرية – الإيرانية حالة الجمود مرة أخرى.

❖ أن طهران تعلم ومنذ اللحظة الأولى للأحداث في مصر أن مسارها يروق للعديد من بلدان الخليج العربي وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية والإمارات ومن ثم فإنه وانطلاقا من تعارض المصالح وتضاربها يفترض أن تكون مخالفة لمنهجهما السياسي تجاه هذه الأحداث حيث الصراع السياسي في المنطقة بين طهران والرياض.

وترتبط هذه النقطة بسالفتها حيث بدا أن الموقف الغربي الأمريكي والأوروبي من الأحداث لم يكن صريحا بشكل تام وإن جاء داعما بشكل أو بآخر لما قام به الجيش المصري حيث اتسمت تصريحات المسئولين الغربيين بالكثير من الضبابية التي اعتبرها الكثيرون بمثابة ضوء أخضر للجيش خاصة وأن الجميع كان يطالب بإنفاذ ما أسماه الجيش بخارطة الطريق.

ويجدر أن نتوقف قليلا عند هذه النقطة إذ لم

يكن ذلك هو المرة الأولى التي تتوافق فيها مواقف طهران مع الموقف الخليجي والغربي على حد سواء فقد سبق وأن قدمت طهران كامل الدعم للولايات المتحدة الأمريكية في ضربتها العسكرية التي وجهتها للعراق عام ٢٠٠٣م بهدف تدمير الجيش العراقي والقضاء على الرئيس صدام حسين ومن ثم تزايد النفوذ الإيراني في العراق.

وتأتي علاقة إيران بفصائل وحركات المقاومة الفلسطينية كواحدة من الإشكاليات الرئيسية في الموقف الإيراني من الأحداث المصرية فالنفوذ الإيراني في الأراضي المحتلة مرتبط باستمرار الدعم الموجه من إيران لهذه الفصائل وهو ما كان يمكن أن يتنامى في ظل حكم الدكتور مرسي المنتمي فكريا وتنظيميا للإخوان المسلمين المرتبطين بعلاقة جيدة مع الفصائل الفلسطينية وبالتالي فإن غياب الإخوان عن المشهد سيصعّب من مسالة تنامي هذا الدعم.

الأسباب التي دفعت لقبول الأمر الواقع:

❖ في الوقت الذي أعربت فيه الدولة الإيرانية عن ترحيبها الشديد بفوز الدكتور مرسي برئاسة مصر وحرص الرجل على زيارتها بعد مرور أقل من شهرين على توليه لمهامه في زيارة وصفت بالتاريخية كونها تعد الأولى لرئيس مصري بعد قطيعة دامت لنحو ثلاثة وثلاثين عاما في الوقت الذي يحدث فيه ذلك يفاجأ كل الإيرانيين بما فعله الدكتور مرسي في خطابه خلال افتتاح قمة منظمة دول عدم الانحياز حيث الترضي على الخلفاء الراشدين بمن فيهم سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما- اللذان يثيران حفيظة أغلبية الشيعة.

❖ النظر إلى الإخوان المسلمين والرئيس مرسي على أنهما خانا المبادئ فيما يتعلق بالعلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية ودولة الكيان الصهيوني حيث الاعتقاد بأن الدكتور مرسي هو من ضغط على حركة حماس للتوقف عن عمليات المقاومة والتوقيع على هدنة مع الكيان الصهيوني بضمان مصري ما أفقد حلف الممانعة ورقة قوية للضغط على أمريكا و«إسرائيل».

❖ الموقف الشديد الذي اتخذه الرئيس مرسي من الوضع في سوريا حيث قطع العلاقات المصرية – السورية وأغلق السفارة السورية بالقاهرة وسحب القائم بالأعمال المصرية من دمشق فيما أعلن الجهاد ضد الجيش السوري النظامي قبل خمسة عشر يوما فقط من الإطاحة به وهو ما أثار حفيظة الإيرانيين بشدة حيث يعتبر الأسد الحليف الأول والأهم لإيران في المنطقة.

❖ وجاء مقتل الشيعي المصري حسن شحاته ومعه عدد من المتشيعين في قرية «أبو مسلم» بمحافظة الجيزة ضربة قاصمة بالنسبة للإيرانيين إذ كان بمثابة رسالة قوية للرد على أية محاولات إيرانية لنشر المذهب الشيعي الذي هو الهدف الأهم والأخطر للإيرانيين من وراء استعادة العلاقات الإيرانية المصرية.

واعتبرت إيران أن المؤتمر الذي عقد بملعب القاهرة وحضره الكثير من الإسلاميين ومن بينهم قيادات سلفية بمثابة الضوء الأخضر لوقوع حادث مقتل شحاته ورفقائه حيث شهد المؤتمر الكثير من الكلمات النارية المضادة للشيعة وطائفيتهم في ضوء ما يحدث في سوريا.

❖ كما أن إيران راهنت وحتى قبل أيام قليلة من استقالة الدكتور محمد البرادعي نائب الرئيس عدلي منصور الذي عينه المجلس العسكري خلفا لمرسي بعد عزله على أن تتحسن العلاقات المصرية – الإيرانية نظرا للعلاقة القوية التي تربط الدكتور البرادعي بالرئيس الحالي لإيران حسن روحاني منذ السنوات التي كان يترأس فيها هذا الأخير فريق المفاوضين في الملف النووي.

الوقود الطائفي للانقلاب في مصر... الصوفية والشيعة نموذجا

معتز بالله محمد[*] - خاص بالراصد

جاءتهم الفرصة على طبق من ذهب، ليتخلصوا من عدوهم، كي يصبح الطريق ممهدا أمامهم للانتشار والتمدد بعقيدة تخالف السواد الأعظم من أهل مصر، وافقوا فورا على التحالف مع النصارى والعلمانيين، وفلول نظام مبارك لإسقاط الرئيس الإسلامي المنتخب، بعدما رأوا فيه حجر عثرة أمام طموحاتهم، وباتوا على يقين من غموض مستقبلهم إذا ما بقي على كرسيه، فكان لهم ما أرادوا .. عن الصوفية والشيعة نتحدث.

لعبت الفرق الصوفية وكذلك الشيعة دورا بارزا في إسقاط الرئيس محمد مرسي، وحشدوا كافة طاقاتهم لتنفيذ الانقلاب العسكري يتقدمهم في ذلك شيخ الأزهر الصوفي أحمد الطيب، الذي ينحدر من أسرة صوفية، وشقيقه الأكبر محمد هو شيخ الطريقة الخلوتية، خلفا لوالده.

لكن الصوفية - وعلى عكس الشيعة - ظهروا بشكل علني معتمدين في ذلك على عددهم الكبير الذي يصل بحسب بعض المصادر إلى ١٠ ملايين نسمة موزعين على أكثر من ٧٤ طريقة، فنزلوا عن بكرة أبيهم نساء ورجالا، أطفالا وشيوخا، خلال المظاهرات التي انطلقت في ٣٠ يونيو مطالبة بإسقاط الرئيس.

وسوف نحاول في هذا المقال تتبع تحركاتهم في الفترة التي سبقت عزل الرئيس إلى الآن، والكشف عن نشاطهم وسعيهم للعب دور سياسي بارز على الساحة بعد الانقلاب العسكري.

(*) كاتب مصري.

(١) الصوفية والانقلاب

التحضير للانقلاب

في ١٤ يونيو، وقبل أسبوعين على بدء المظاهرات المطالبة برحيل مرسي، نشرت صحيفة «الفجر» المقربة من الصوفية والشيعة في مصر خبرا عنوانه «آلاف الأشراف والصوفية أمام قبر «الإمام الحسين» يعلنون إسقاط شرعية مرسي»، وقالت الصحيفة إن الصوفية استغلت الاحتفال بمولد الإمام الحسين عليه السلام، للمبايعة على إسقاط الرئيس.

واعترف المنسق العام لائتلاف الصوفية مصطفى زايد للصحيفة بأن الائتلاف العام للصوفية والاتحاد العام لشباب الصوفية ورابطة الصحوة الصوفية الأزهرية قد تحالفا مع حزب التحرير المصري وحزب الدستور والتيار الشعبي (أحزاب علمانية) من أجل المشاركة في ثورة ٣٠ يونيو لإسقاط شرعية الرئيس محمد مرسي.

المثير ما قاله زايد إن «الاحتفال بمولد سيدنا الحسين شهد جمع توكيلات لحركة تمرد من أجل سحب الثقة من الرئيس محمد مرسي العياط وجماعة الإخوان المسلمين وذلك لأن الصوفية على يقين تام أن الأمور في مصر لن تهدأ ولن تستقر إلا برحيل جماعة الإخوان المسلمين عن سدة الحكم».

كما نقلت الصحيفة تصريحات من داخل المسجد لعلاء الدين ماضي أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية ورئيس المنظمة الصوفية العالمية، طالب فيها «مريدي الصوفية بالاعتصام يوم ٣٠ يونيو أمام قصر الاتحادية وفي ميدان التحرير وعدم المجيء إلا بعد سقوط حكم الإخوان المسلمين على أن يقف شيوخ الصوفية خلف مريديهم بالنصيحة والإرشاد حتى لا يكون هناك أي نوع من أنواع التراجع عن الهدف الأكبر والأسمى إلا وهو إسقاط حكم المرشد».

وفي ١٩ يونيو نشرت الصحيفة ذاتها خبرا عنوانه «الصوفية تدفع بـ ٥٠ ألف شاب لحماية المتظاهرين ٣٠ يونيو» وقالت الصحيفة إنها رصدت استعدادات شباب الطرق الصوفية لمظاهرات واحتجاجات ٣٠ يونيو التي سوف تطالب برحيل الرئيس محمد

مرسي بعد فشله في إدارة البلاد، على حد وصفها.

وقالت الفجر إنها التقت بالقيادات الصوفية التي سوف تخرج على رأس هذه المجموعات الشبابية مثل الدكتور محمود حسنين، الذي سوف يخرج على رأس ٥ آلاف شاب من محافظة الجيزة، وأيضا الدكتور عصام عبد الباسط القيادي الصوفي في بمحافظ أسوان سوف يخرج على رأس ألفي متظاهر، وأيضا القيادي الصوفي السيد شبل الذي سوف يخرج على رأس ثلاثة آلاف متظاهر من محافظة المنوفية، وأيضا القيادي الصوفي سميح قنديل بمحافظة البحيرة سوف يخرج على رأس ٤ آلاف متظاهر، وغير ذلك من القيادات والكيانات الصوفية التي سوف تخرج في مظاهرات كبرى من أجل إسقاط حكم جماعة الإخوان في ٣٠ يونيو.

هذه كانت البداية فقط، ففي ٢٣ يونيو وقبل أيام من المظاهرات، نشرت صحيفة «اليوم السابع» التي يرأس تحريرها خالد صالح، المعروف بعلاقاته الوطيدة مع أمن الدولة، تصريحات للمتحدث باسم ما يسمى (الصحوة الأزهرية الصوفية) أكد فيها عن حشده الآلاف في فعاليات ٣٠ يونيو لإسقاط الرئيس مرسي.

كما تطرق الخبر إلى استعدادات قبيلة الأشراف بمحافظة قنا، ونقل تصريحات لأمين عام تجمع آل البيت، الذي أكد أنهم مستعدون للموت في سبيل إسقاط النظام، داعيا الصوفية في مشارق البلاد ومغاربها إلى إعلان النفير السلمي العام حتى التخلص من حكم جماعة الإخوان.

ما بعد الانقلاب

في ٣ يوليو جاء خطاب الفريق عبد الفتاح السيسي الذي أعلن بموجبه انقلابه على الرئيس مرسي، فأقام الصوفية الأفراح في مصر، والولائم ابتهاجا بما يرونه نصرا صنعوه بأيديهم.

ففي ٢٤ يوليو خرج السيسي مطالبا الشعب بتفويضه للقضاء على ما يسمى الإرهاب فأعلن ائتلاف الطرق الصوفية، واتحاد القوى الصوفية تفويضهما له وهو التفويض الذي اعتبر بمثابة ضوء أخضر لتنفيذ مجازر مروعة اهتز العالم لبشاعتها في حق الإسلاميين، وبالفعل نزل الصوفية مجددا إلى ميادين مصر لمنح السيسي صكا بقتل أبناء وطنهم، الذين طالبوا بعد ذلك بإبادتهم، وهو ما سنتعرض له لاحقا.

وفي اليوم نفسه أكد الدكتور عبد الله الناصر حلمي، أمين اتحاد القوى الصوفية، لصحيفة «الوطن» أن الاتحاد مشارك بقوة في فعاليات وتفويض السيسي في ميادين المحافظات المختلفة. مؤكدا أن اشتراك الصوفية في الفعاليات «لإظهار الوجه الصحيح للإسلام الوسطي الرافض لتجار الدين والإرهابيين».

الصوفية والنور

تخلص الصوفية بالفعل من النظام، لكنهم لم يهدأوا بعد، إذ شكل بقاء حزب النور السلفي على الساحة صداعا في رؤوسهم فودوا لو تخلصوا منه نهائيا، انتقاما من كل ما هو سلفي.

صحيفة «الجمهورية» الحكومية كشفت بتاريخ ٩ يوليو، عن هجوم عنيف شنته قيادات صوفية على حزب «النور»، حيث نقلت عن المهندس محمد صلاح زايد رئيس حزب النصر الصوفي قوله في لهجة انتقامية «لا ندري لماذا تم اختياركم في المرحلة الانتقالية؟ ومن الذي أعطاكم الحق أن يكون عندكم التدخل في اختيار ما يراه الشعب المصري صاحب الثورة؟، مضيفا، لن ننسى موقفكم من الدستور الظالم، وموقفكم من شيخ الأزهر، عندما قال أحد قادتكم بأننا ضحكنا على شيخ الأزهر في المادة الثانية في الدستور».

الانتقام

استمرار المظاهرات الحاشدة المؤيدة للرئيس المعزول في مصر، والتي خلفت ردود أفعال دولية واسعة، كانت سببا في قلق الصوفية، وخوفهم من أن تحشد هذه الفعاليات المزيد من المصريين الذين استفاقوا على خطورة الوضع بعد الانقلاب، فلم يكن من قيادات الصوفية سوى تحريض الجيش على المعتصمين، بوصفهم إرهابيين يعيقون مسيرة التقدم.

موقع «أخبار مصر» نشر بتاريخ ٢٣ يوليو تصريحات لعبد الله الناصر حلمي أمين عام اتحاد

الطرق الصوفية وتجمع آل البيت الشريف ووكيل مؤسسي حزب البيت المصري، يؤكد فيها أنهم «سيوفرون» الدعم الشعبي لقيام الجيش بفض الاعتصامات مهما كلف ذلك من ثمن، زاعما أن «المتواجدين حاليا بإشارة رابعة والنهضة جهاديون يجب القبض عليهم فورا واستجوابهم لأن لديهم الكثير من المعلومات ستقودنا إلى باقي الجهاديين».

فتوى عنصرية

ويتواصل التحريض فتنشر «الوطن» بتاريخ ٧ أغسطس فتوى شاذة رداً على الدكتور يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لأبو العزائم شيخ الطريقة العزمية، ورئيس الرابطة المصرية التى تضم صوفيين وأقباطاً، وذلك خلال إفطار جماعي جمع قادة الصوفية، إضافة إلى اللواء مراد موافي، رئيس المخابرات العامة السابق، ومجتبى أماني القائم بأعمال السفير الإيراني بالقاهرة بمقر مشيخة الطريقة العزمية بحي السيدة زينب.

أبو العزايم قال في فتواه إن: «من يموت من الإخوان وأنصارهم فى مواجهات مع الشرطة والجيش فإنه يموت كافراً، ومن مات منهم أو من يدعون للجهاد في سوريا فإنه يموت كافراً، ومن يموت على أيديهم من الجيش السوري النظامي فإنه يموت شهيدا لأنه يدافع عن بلاده».

وشدد على ضرورة فض اعتصام ميداني رابعة العدوية والنهضة، موضحاً أن من يشارك فيه لا يشارك من أجل الإسلام، بل طمعا في السلطة والحكم حتى لو أدى إلى خراب مصر، وطعما في «جهاد النكاح» على حد زعمه.

دور سياسي

بعد التخلص من أعدائهم يسعى الصوفية حاليا إلى القيام بدور سياسي يؤهلهم لاحتلال جزء من المشهد القادم، حيث يحاولون على قدم وساق الإعداد لتحالفات سياسية لخوض الانتخابات البرلمانية القادمة، ودعت القوى الصوفية إلى تدشين تحالف يضم ٣٣ حزبا و٣٠ طريقة صوفية.

ولا يقتصر هذا الدور على المستوى الداخلي فقط حيث نشرت صحيفة «الدستور» المصرية بتاريخ ٢٧ أغسطس خبرا يفيد بتشكيل لجنة برئاسة الدكتور عبد الهادي القصبي رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، وذلك للقاء عدد من سفراء الدول المناهضة لانقلاب ٣٠ يونيو، ومن بينها فرنسا وبريطانيا وأمريكا وتركيا وقطر للتأكيد على «عدد من الثوابت منها رفض التدخل الخارجي في الشأن الداخلي المصري على اعتبار أنه نوع من أنواع السيادة والتأكيد على ثورة ٣٠ يونيو ثورة شعبية وليست انقلابا كما يروج المضللون ومطالبة تلك الدول بعدم الكيل بمكيالين».

(٢) الشيعة والانقلاب

أما الشيعة فقد لعبوا منذ مجيء الرئيس مرسي- كعادتهم- دورا تآمريا لإسقاطه، ولأنهم يعتمدون التقية التي تمثل ثلاثة أرباع عقيدتهم فقد ظلوا يعملون في صمت حتى نجح المخطط وقتها فقط بدأوا يتحدثون جهرا عن جهودهم طوال الفترة الماضية لإسقاط الحكم الإسلامي السني في مصر.

وتكفي الإشارة إلى اعترافات الشيعة على صفحتهم الرسمية على الفيس بوك «مصر الفاطمية» والتي جاء فيها: «الحمد لله لقد كنا نحن المصريون الشيعة من أهم من دعموا وساعدوا حملة تمرد لإسقاط مرسي وإخوانه وهذه معلومة احتفظنا بها لأنفسنا لمنع أي تشويش على نجاح الحملة لدرجة أن المقر الرئيسي لحملة تمرد منذ ولادة فكرة الحملة كان هو مقرنا مركز مصر الفاطمية للدراسات وحقوق الإنسان وقد انطلقت الحملة من داخل المركز».

وأضافت: «قدّمنا لهم المقر يعملون فيه كما شاؤوا وقد كان هذا للعلم أحد أسباب قيام نظام الإخوان المجرم باغتيال شيخنا الشهيد حسن شحاته قبل سقوطه بأيام في محاولة لتخويفنا والانتقام منا.. هذا سر من أسرار حملة تمرد انتوينا أن نحتفظ به سرا حتى سقوط نظام الإرهاب والتطرف الطائفي

المجرم وها هو قد سقط فقرّرنا أن نعلنه ونشارك الجميع فيه».

هل تقود العقلانية إلى التشيع؟

بوزيدي يحيى(*) - خاص بالراصد

يُتداول في الأوساط المتشيعة أن عقلانية الطرح الشيعي كانت أهم عوامل جذبهم الأنصار إلى ما يعتبرونه منهج آل البيت، فمثلا المتشيع المصري صالح الورداني يقول: إن أسباب تشيعه تتمثل في الأطروحة السنية التي هي وليدة السياسة وتقديم فقه الرجال على فقه النصوص، على عكس الأطروحة الشيعية التي تحكم القرآن والعقل فاستطاعت تجديد محتوياتها ومواكبة الواقع والمتغيرات. إضافة إلى تجربته مع الحركات الإسلامية المناهضة لكل ما هو عقلي لأن استخدام العقل عند القوم يعني الزندقة والضلال[1]. وعموما يوصف الخطاب الشيعي عند الكثيرين بأنه خطاب عقلاني على عكس الخطاب السني، حتى أن (الاستبصار) وهو المصطلح الذي يطلقه الشيعة على من يلج في دينهم يوحي بظلمة تنيرها العقلانية والتأمل الذي يمكن من إبصار الحقيقة.

وأعطت الثورة الإيرانية والحركية السياسية للجمهورية الإسلامية عقب الثورة دفعة للشيعة، حيث عززت من حضورهم وشرّعت لهم الأبواب في مختلف المحافل. وأُسس على نجاحاتها السياسية قناعات إضافية بصوابية المعتقدات الشيعية.

كما وجد الخطاب الشيعي بيئة مناسبة له في الأوساط الفكرية والثقافية والإعلامية التي كانت تتجاذبها التيارات اليسارية والعلمانية التي عملت على تحوير الدين الإسلامي وفق أجنداتها الأيديولوجية والسياسية، وفي هذه البيئة كانت العقلانية الشعار الجامع بين كل هذه القوى في قراءة التراث للانطلاق نحو الحضارة، ومن هنا تسلل التشيع بين هذه الأوساط وبدأت تبرز بعض الرؤوس المتشيعة.

هذه العقلانية المزعومة تروج من خلال دعوى النقاش الموضوعي والعقلاني للتراث والتاريخ كأحد أهم العناوين التي يرفعها دعاة التشيع، والبداية تكون بنقض صحيح البخاري بشبهات واهية عن المختصين، ولكن لجهل المستبصرين والمتشيعين برد هذه الشبهات وعدم لجوئهم لأهل العلم، يصبح لا مناص عندها من الانتقال السنة إلى الضفة الأخرى حيث رحابة العقل الشيعي زعموا. فهل حقيقة تقود العقلانية للتشيع؟

العقل الشيعي/العقل المتشيع

يفرق علي شريعتي، المفكر الإيراني المعروف، بين التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ويعتبر أن الدولة الصفوية أحدثت الكثير من المعتقدات الشيعية أو حرّفت معانيها ولا علاقة لها بالتشيع العلوي الأصيل. هذا الموقف لعلي شريعتي والذي يميز فيه بين تشيعين بناءً على مرحلة تاريخية ضمن نفس البيئة الاجتماعية يدفعنا أيضا للفصل بين العقل الشيعي والعقل المتشيع حيث القطيعة الجغرافية والتاريخية، والتي يستحيل أن تكون متطابقة فيها محددات تفكير كل عقل، رغم أن العقل المتشيع مجرد عقل ملحق، إذ يستند على كل مضامين وآليات تفكير العقل الشيعي، كون مصادر التثقيف واحدة ممثلة في الحوزات الشيعية في إيران ومختلف الدول العربية، وكل المؤسسات الدينية والسياسية والثقافية والإعلامية التابعة لطهران وما تبثه من مواد في الشقين الديني والسياسي. ولكن البيئة الاجتماعية المختلفة لها تأثيرها على العقل المتشيع، حتى وإن لم يظهر ذلك بشكل جلي فإنه يتمظهر في أشكال مختلفة إما عاجلا أو بعد حين.

إذ مهما كانت معتقدات أي مجتمع فإنها تخضع لقوانينه، ويكون الاقتناع بها على سبيل العادة والتلقين الذي يتم بتوجيه من العائلة بداية ثم

(*) كاتب جزائري.

(1) صالح الورداني، الطرح الشيعي عوامل الجذب، شبكة الشيعة العالمية، على الرابط:
http://www.shiaweb.org/shia/khedaa/pa24.html

المؤسسة الدينية وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ولكن هذا لا يعني نفي المعرفة العلمية لتلك المعتقدات بغض النظر عن محتواها، حيث توجد لكل مجموعة دينية كتبها المقدسة.

والمجتمع الشيعي ليس استثناء من ذلك، فالشيعة في العراق وإيران أو لبنان وغيرها من الدول التي بها تجمعات شيعية (أصيلة)، يؤرخ لها بقرون طويلة جدا، من الطبيعي فيها سبّ الصحابة وضرب الزنجيل واللطم والنياحة في عاشوراء، وزواج المتعة وغيرها من المعتقدات التي يعجب ويستغرب منها المسلم السني في شمال إفريقيا بشكل خاص، الذي لم يعتد على مثل هذه المظاهر، وهو يشاهدها على الفضائيات ويتساءل عن علاقة هذه الأمور بالإسلام. ومن هنا تأتي أول معايير الفصل بين العقل الشيعي والعقل المتشيع، فهذا الأخير يخضع لتأثيرات بيئته الاجتماعية التي تلزمه رغما عن إرادته بآليات تفكير تبقي على خصوصية من نوع ما.

وتجاوز المتشيعين لهذه الحقيقة لمجرد تسليمهم بكل المعتقدات الشيعية، وتبنيهم لكل مواقف إيران السياسية، يعد أول وأهم مظاهر لا عقلانيتهم على عكس ما يدّعون.

مظاهر اللاعقلانية دينيا:

يعاني العقل الشيعي من عدد من الأزمات[1]، وهي ليست وليدة اللحظة إنما ارتبطت بالشيعة ارتباطا وثيقا منذ نشأتهم، لدرجة يمكن فيها وصف المعتقدات الشيعية بأنها معتقدات أزماتية، كونها وليدة الفراغات التي مرّ بها التشيع عبر مراحل تشكله، ومحاولة ملئها بالتفتيش عمّا يسندها من نصوص بأثر رجعي، إذ أنه في المعتقدات الشيعية النص ملحق بالاعتقاد وليس سابقا له، وهذا ما يزيد من اضطرابها ولا عقلانيتها، مقارنة بالاعتقادات السنية، فبينما نجد الأخيرة لها أدلة كثيرة جدا في القرآن الكريم والسنة النبوية وآراء الفقهاء مؤسسة عليها، في المقابل المعتقدات الشيعية جلها غير مؤسسة على ذاتها، وإنما مبنية على التشكيك في ونفي المعتقدات السنية. فالإمامة والتقية على سبيل المثال لا الحصر هناك نصوص كثيرة وصريحة عنهما في ما ينسب لأئمة أهل البيت من مرويات بينما أدلتها في القرآن والسنة النبوية تكاد تكون منعدمة !!

على هذا الأساس يفترض بمن يتخذ من العقلانية منهجا في التفكير أن يسلك في التعامل مع الخطاب الديني السني والشيعي نفس الآليات ويمارس النقد على كل المعطيات والمقاربات. وهذه الارتباكات والمآزق التي مرّ بها الفكر الشيعي وانعكاس ذلك على معتقداته تفرض الإمعان أكثر في هذه المعتقدات قبل الاستسلام لها أو التسليم بها.

فالعقلانية تلزم أن لا يتم الانتقال إلى التشيع قبل تمحيص مضمون المعتقدات الشيعية كما محصت المعتقدات السنية، والتمحيص يُسبق بالقراءة المعمقة، ولكن الانتقال السريع لهؤلاء وفي سن المراهقة يدلل على عدم عقلانيتهم، خاصة وأن الكثير من العقائد والمظاهر التدين الشيعية لا تستقيم مع العقلانية، فعقيدة الإمامة تصطدم بالواقع التاريخي وتقتضى تكفير الصحابة وتحريف القرآن ! اما مظاهر التشيع المناقضة للعقلانية فمن أهمها زواج المتعة، والخُمس والاحتفال بعاشوراء، فضلا عن تضارب الآراء والمواقف من الصحابة في تراث أئمة أهل البيت أنفسهم ككتاب نهج البلاغة المنسوب لعلي رضي الله عنه، وموقفه من الخلفاء الثلاثة قبله، وتجاوز العديد من الحقائق الاجتماعية كالمصاهرات التي تمت بين الآل والأصحاب، وموقف الحسن رضي الله عنه من معاوية، ثم الموقف من الزيدية وبعدها الإسماعيلية التي لا تؤمن بالمهدي المنتظر عند الإثني عشرية، وليس أخيرا قصة الإمام الثاني عشر وغيبته الصغرى وحكاية السفراء الأربعة، وما تلاها من إشكاليات في نظرية الانتظار التي سادت لقرون طويلة واصطدامها بنظرية ولاية الفقيه.

---

(١) للكاتب مختار الأسدي كتاب تحت هذا العنوان (أزمة العقل الشيعي)، يحوي على عدد الدراسات التي منعت من النشر أو تحفظ على البعض من أجزائها، والتي تناقش قضايا شيعية عقدية وسياسية.

والنقد والجدل السابق والحالي ضمن الدائرة الشيعية يدعو للإلحاح على العقلانية في التعاطي مع معتقداتها، خاصة عندما يتعلق الأمر بنفس المسألة التي يدّعون أنها أدت بهم إلى هجرة أهل السنة والجماعة، فقد حارب الشيعة العقلانية التي ظهرت عندهم متأخرة لقرون طوية، وتجلى ذلك في الصراع بين الإخباريين والأصوليين. وكلاهما كان يسند موقفه بروايات منسوبة للأئمة[1].

بناء على هذا إذا افترضنا صحة القول بتغييب السنة للعقل فإن المنهج العقلاني يفرض على الباحث أن يقول نفس الشيء عن الشيعة، مع العلم أن الصراع لا زال مستمرا داخل البيت الشيعي حول الموضوع في هذا العصر، فقراءة علي شريعتي ترفضها المؤسسة الدينية الشيعية، كما ترفض كل المساهمات في هذا الإطار مثل أبحاث أحمد الكاتب، ومثيلاتها من البحوث التي يزخر بها موقع اجتهادات التي تصنف ضمن نطاق «الدعوات العقلانية» في دراسة العقائد الشيعية[2]، كما ترفض مراجعات أقل منها مثل تلك التي ينادي بها حسن الصفار والمرجع اللبناني المتوفى محمد حسين فضل الله الذي حورب ومورس ضده الإقصاء والتهميش، وهو اتجاه عقلاني لكن أتباعه ومقلديه في الأوساط المتشيعة فئة قليلة جدا، بينما يفترض أن تكون هي الأغلبية. ولكنهم فضلا على تبنيهم المعتقدات الشيعية جملة فإنهم يقفون ضد هذا التيار.

والانتقال إلى الاتجاه المتطرف يعكس لا عقلانية التحول، فحدية الطرح والانتقال السريع إلى يمين التشيع يبين القصور المنهجي. والملاحظ أن التحول يتمّ إلى الإثني عشرية المرتبطة بإيران دون غيرها من الفرق الشيعية ما يرجح تأثير الحدث السياسي في عملية التحول وليس العامل الديني فحسب.

ومهما كانت البدع في الوسط السني والتي هي محل صراع حيث يرفض جمهور عريض من العلماء إن لم نقل جلهم أو كلهم، من مثل ما يقوم به الصوفية في الموالد وأضرحة الأولياء، إلا أنه لا يوجد احتفاء بتلك البدع مثلما يحتفل الشيعة بعاشوراء وما يواكبها من السلوكيات التي لا تستقيم مع العقلانية ولا تتقاطع معها في أي نقطة. ومع ذلك فإن المتشيعين يحتفلون بها، والأدهى من ذلك أنهم يشككون في صوم رسول الله ﷺ لعاشوراء، وإذا كان الصوم محل تشكيك فإن الأولى عدم الاحتفال بها كما يفعل الشيعة إطلاقا.

وتبقى عموما تهمة عدم عقلانية المنهج السني تهكة ساقطة، أبطلها علماء أهل السنة وناقشوا كل مفرداتها وفنّدوها بمختلف الوسائل، ومن يبحث ويقارن بين ما هو متداول من الطرفين كما يفرضه التجرد العلمي والعقلانية سيجد الكثير من الكتب والمؤلفات التي تكشف الحقيقة أمامه بعقلانية أهل السنة في مقابل خرافة التشيع !

مظاهر اللاعقلانية سياسيا:

لا يختلف الشق السياسي الشيعي كثيرا عن الشق الديني فهو بدوره مليء بالتناقضات، فأهم إشكالية سياسية تطرح عند المتشيعين تتمثل في موقف علماء أهل السنة من الأنظمة الحاكمة وما يراه (العقلانيون) خضوعا وتسليما للظلم والطغيان، ورغم علم هؤلاء أن هذه المسألة هي مدار نقاش وجدل، وحتى انقسامات بين الاتجاهات السنية، لكنهم يتغاضون عن ذلك، ويعمّمون التصور الذي لا يخلو من لا عقلانية في حد ذاته، إذ أن الإشكال ليس الإقرار بظلم تلك الأنظمة من عدمه ولكن في كيفية تخطيه، حيث التخوف من الفتن التي ترافق التغيير ودماء المسلمين التي تراق هو أهم كابح ومحدد لهذا الموقف السني. وبغضّ النظر عن هذا الجدل ما هو المقابل عند الشيعة؟

يبدو أن المتشيعين فتحوا أعينهم على ولاية الفقيه التي طورها الخميني ويغفلون قرونا طويلة سادت فيها نظرية الانتظار التي عطلت حتى صلاة الجمعة بحجة غيبة الإمام المعصوم. واعتبروا أي

---

(١) حسان عبد الله حسان، إشكالية العقل عند فقهاء الشيعة بين التقليد والاجتهاد، مجلة التسامح، على الرابط:
http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=473

(٢) رابط الموقع: http://ijtehadat.com

حاكم مغتصبا لحقوقه. ولكن فقهاء الشيعة خلال هذه المرحلة لم يجدوا مانعا من التعامل مع الأنظمة الشيعية التي نشأت في هذه الحقبة، ووقعت بينهم خصومات، كان آخرها قبيل تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران حول الدستور بين مؤيدي الدستورية المشروطة وأنصار الحكومة المستبدة[1].

أما نظرية ولاية الفقيه التي يهلل لها المتشيعون فهي تعني السلطة المطلقة والدائمة للمرشد الأعلى الإيراني على أساس نيابته للإمام الغائب، وهذه الأخيرة رفضها مراجع كبار أيام الخميني. ومن جهة أخرى فإن السلطات التي تُمنح للمرشد هي أسوأ بكثير من تلك التي تمنح للحاكم عند السنة، أو على الأقل لا تختلف عنها، ولكن المتشيعين يغفلون هذا الجانب ويركزون فقط على الانتخابات الرئاسية التي تجري كل أربع سنوات ويفاخرون بالديمقراطية على الطريقة الإيرانية، والإشكال أن هذه الأخيرة عليها العديد من المآخذ التي لا تستقيم مع القيم الأخلاقية المفترضة في النظام الإسلامي والتي يزعم المتشيعون أنهم تركوا منهج أهل السنة بحثا عنها.

في مقدمة هذه المآخذ ما حصل لنائب المرشد الأول آية الله حسين منتظري في أيام الخميني وحتى وفاته، وما يجري من اضطهاد للتيار الإصلاحي الذي يقبع تحت الإقامة الجبرية وأبرز قادته مير حسين موسوي ومهدي كروبي اللذين شاركا في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩ وسبق لهما تولي مناصب عليا في الدولة. وحتى داخل التيار المحافظ بين (النجادية) أو التيار المنحرف كما يصطلح عليهم بسبب ما يعتبرونه خرافات الرئيس السابق أحمدي نجاد عن المهدي التي كانت محل غضب وسخرية آيات الله من هذا التيار. لكن الهزّات التي تضرب بشكل مستمر النظام الإيراني والتناقضات داخله غائبة تمام عن عقل المتشيعين.

بل على العكس ينافحون عنه ويتصورون أن الشعب الإيراني يعيش في رغد، وأن طهران قوة اقتصادية كبيرة تضاهي الدول الأوروبية رغم أن الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن الاقتصاد الإيراني ريعي كغيره من اقتصاديات دول العالم الثالث، يعتمد على مداخيل النفط بنسبة الثمانين بالمائة، وهذا المعطى كفيل لتأكيد أن البلاد ليست بالقوة الاقتصادية الكبيرة كما يعتقدون، وأيضا نسبة التضخم التي بلغت وفق الأرقام الرسمية الأربعين في المائة بتصريح من الرئيس الجديد حسن روحاني وقبله هاشمي رفسنجاني، ومن المعلوم أن الأرقام الرسمية في الغالب الأعم في الأنظمة العالم ثالثية تقلل من السلبية وتضخم الإيجابية، ولكن عقلانية المتشيعين تختفي في هذا الجانب.

وفي السياسة الخارجية فإن حجم التناقض أكبر بكثير لدرجة تجعل المتابع يعتقد أن المتشيعين مجرد حمقى ومغفلين وليس لديهم عقلانية ولا هم يحزنون. فبينما يدينون الأنظمة العربية لتواطئها مع الولايات المتحدة الأمريكية في احتلال العراق، يغضّون الطرف عن سياسات إيران هناك جملة وتفصيلا، بل ويجدون في المفاوضات بين الطرفين حول العراق وفرض طهران للمالكي في انتخابات ٢٠١٠ رغم أحقية القائمة العراقية برئاسة إياد علاوي بتشكيل الحكومة دليلا على مهارة إيران وقوتها، ويعتبرون في نفس الوقت أن الشيعة هم من حرر العراق بزعامة المالكي الذي جاء على ظهر الدبابة الأمريكية وحظي بتزكية المراجع الشيعة، وكأنه نسخة ثانية من المهاتما غاندي بطل المقاومة السلمية في الهند.

وموقفهم من الثورات العربية أشد غرابة فلم يخرج قيد أنملة عن الخط الإيراني، وهو ما تكشف في الثورة السورية وتناقض مواقفهم تبعا لبوصلة الملالي، خاصة وأنهم كانوا يعتبرون ما

(١) اختلف علماء الشيعة حول فكرة الدستور من الأساس سواء في الدولة القاجارية أو الدولة العثمانية بين مؤيد للمشروطية والحياة الدستورية، وبين رافض لها متشبث بالحكم الاستبدادي خشية على التقاليد الدينية. لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: رشيد الخيون، النّزاع على الدستور بين علماء الشيعة المشروطة والمستبدة، دبي: دار مدارك، ط٢، ٢٠١١.

يجري في البحرين ثورة شعبية. فإذا افترضنا أن الموقف السني غير عقلاني وطائفي يتعامل مع القضايا من زاوية وبعد مذهبي، فكيف نفسر الموقف الشيعي في المقابل إذا كان يخضع لنفس الآليات فإنه بدوره غير عقلاني.

وقد نتفهم ذلك في حالة العقل الشيعي، ولكن ماذا بالنسبة للعقل المتشيع؟ إذا كان لجأ إلى الشيعة لعقلانيتها فيفترض به أن يستمر في تأييد الثورات على أساس عقلاني، ولا يتعامل معها من بعد طائفي، خاصة وأن المظاهرات في البحرين سبقت الثورة السورية وبالتالي يفترض أن تكون هناك استمرارية في نفس الموقف والتحول يعكس تناقضا في القراءة، فهل يعقل أن يثور شعب عدد سكانه في حدود المليون نسمة ضد نظام ملكي ولا يثور أكثر من عشرين مليون نسمة ضد نظام جملوكي؟؟

ونشير هنا للفارق الديمغرافي لأن المتشيعين يغيبون البعد الاجتماعي نهائيا في تحليل ما يجري في سوريا ولا يستحضرونه إطلاقا لأنه يثبت أن البعد الطائفي هو الذي يحرك شيعة البحرين وأن التخندق الشيعي إلى جانب النظام السوري لأنه نصيري ينتمي إلى نفس الملة. كما أنه يعكس مصادرة العقل لديهم وتقزيمه وتقليصه بل وحتى مصادرته.

وأسوأ ما في الأمر أنهم يندون بالبعد الطائفي المتحكم في المواقف السنية رغم علمهم أنهم كمتشيعين ما يحرك ويوجه مواقفهم في الحقيقة هي الدوافع الطائفية. ولكنهم لا يفصحون عن هذا الحس الذي رضعوه من تشيعهم.

والمسألة لا تتوقف عند هذا الحد فالطائفية عند القوم هي أهم أمارات المؤامرة الغربية لتقسيم الأمة بإثارة النعرات الطائفية. وإذا سلمنا جدلا مع المتشيعين الذين يرددون الأسطوانة الإيرانية المشروخة التي تتحدث عن مؤامرة صهيو-أمريكية لتقسيم الأمة من خلال افتعال الحروب الوهمية بين السنة والشيعة، فإن المتشيعين أنفسهم أحد أهم وسائل هذه المعركة وأدواتها، فبنشاطهم وسعيهم الدؤوب لنشر التشيع في أوساط أهل السنة مع علمهم بردة فعل قطاع كبير منهم قد تصل لحد السحل كما حصل مع المتشيع حسن شحاته في مصر، فإنهم يؤكدون أنهم غير عقلانيين.

وما دامت إيران كدولة والمرجعيات الشيعية ومختلف مؤسساتها وحركاتها السياسية تحرص على نشر التشيع وتدعمه كما يعلم المتشيعون أنفسهم هذه الحقيقة أكثر من غيرهم، فإن هذا يحتمل بتحليل عقلاني أمرين لا ثالث لهما: فإما أن إيران متورطة في هذه المؤامرة وتنسق مع الصهيونية وإما أنها غبية ولا تدرك أنها تقدم خدمات مجانية لها.

وبالعودة إلى القراءات النقدية للمعتقدات الشيعية، فهناك نقد عقلاني آخر موجه لحزب الله، وخطاب مناهض ومعترض على توجهاته السياسية من نفس الدائرة وليس خارجها أمثال صبحي الطفيلي الأمين العام السابق لحزب الله وهاني فحص ومحمد حسن الأمين، وهي قراءة عقلانية تدعو إلى تجنب توريط الطائفة في صراعات ضد الأمة وتنتقد سياسات إيران التي تسببت في إحداث شروخ بين الشيعة وشركائهم في الوطن، وأن هذه السياسات ستتولد عنها ردود أفعال يدفع جراءها الشيعة ثمنا باهظا.

ولكن المتشيعين المدّعين للعقلانية والذين يفترض بهم الوعي بمثل هذه المخاطر نتيجة ردود الأفعال ضدهم في مجتمعهم كالعادة يعيشون في غيبوبة ولا يلتفتون لمثل هذا الكلام العقلاني بل هم أشد تحمسا للخطاب الثأري الانتقامي ويتمسكون بالمواقف السياسية الإيرانية على تناقضاتها وبالنسبة لهم أي تراجع معناه خذلان آل البيت وضعف وذلة (وهيهات منهم الذلة).

الخلاصة

يستعصي على الباحث أن يجد رابطا بين العقلانية والتشيع، فقد نتقبل أن تؤدي العقلانية إلى العلمانية أو الليبرالية بشكل أو آخر. أما أن ينتقل شخص من التسنن إلى التشيع وينسب ذلك للعقلانية فالأمر صعب جدا. إذ لو بذل المتشيع عُشر عقلانيته

في التعامل مع المعتقدات والأفكار الشيعية لما لبث في تشيعه لحظة واحدة.

وما يتوهم المتشيعون أنه عقلانية قادتهم إلى التشيع ما هو في الحقيقة إلا انبهار سياسي في بيئة متردية دافعه شغف المراهقة للتطلع إلى ما هو جديد ومختلف، أصبح في مرحلة تالية يقينا مطلقا عند المتشيعين، يصطدم بين الفينة والأخرى بالعقلانية التي تحفزها البيئة المختلفة، غير أن الكبر والأنا العارفة تحول دن مراجعة عقلانية للمعتقدات بنفس الطريقة التي دخلوا منها، وتجد في «مجتمع الظل» للمتشيعين نوعا من السكينة المتوهمة.

هذا يدلل على أن ما قاد إلى التشيع ليس العقلانية بحد ذاتها وإنما هو البحث عن التفرد نتيجة الشعور بالتميز. فاعتقاد المتشيعين أنهم متفوقون ومتميزون في مجتمعاتهم هو السبب الذي يدفعهم لتبني المعتقدات الشيعية التي وجدوا فيها ما يعبر عن تميزهم، وإدراكهم لما تقصر عنه من حقائق لعقولها التقليدية.

وكما بدأنا بعلي شريعتي في الفصل بين العقل الشيعي والعقل المتشيع نختم به أيضا من خلال مقاربته الأخرى عن النباهة والاستحمار، فما اعتقد المتشيعون أنه نباهة وعقلانية دفعتهم إلى التشيع ما هو في الحقيقة إلا استحمار، كيف لا، والمتشيع يفاخر بالعقلانية التي أوصلته للطعن والسب والسخرية والاستهزاء ليس من رموز الآخر الذي يفترض بالعقلانية كمدخل للتحضر أن تجعله يحترمها، وإنما رموزه الدينية التي يجلها القريب منه قبل البعيد، والأسوأ من ذلك أنه يعتبر هذا رقيا وتطورا، فإذا لم يكن هذا هو الاستحمار بعينه فأين ومتى يكون الاستحمار؟

وننهي بمقاربة أخرى لعلي شريعتي ونتساءل: متى يعود المتشيعون إلى الذات؟؟؟

لماذا يخشى العراق الضربة العسكرية لسوريا؟

صباح العجاج(*)– خاص بالراصد

تُحتبس الأنفاس مترقبة تنتظر الضربة العسكرية الغربية ضد نظام بشار الأسد، ويسود القلق والخوف أروقة الأحزاب الشيعية العراقية الحاكمة وغير الحاكمة من تداعيات الهجوم المحتمل على نظام الأسد الحليف الاستراتيجي لإيران؛ فهناك تسابق في إعلان النخب الشيعية العراقية رفضها الهجوم على نظام الأسد، ويحث رئيسُ الحكومة نوري المالكي وزيرَ خارجيته هوشيار زيباري على تعطيل أي موقف عربي لإدانة جريمة النظام السوري باستخدام الأسلحة الكيماوية، وإعطاء غطاء سياسي للضربة الغربية، رغم أنّ الأحزاب الشيعية وصلت إلى السلطة بعد غزو العراق وضربه من قبل أمريكا وإطاحتها بصدام حسين.

وتخشى عدّة أطراف سياسية شيعية من تداعيات الضربة العسكرية على السلطة القائمة في بغداد، فلماذا هذه الخشية؟؟

مصادر الخشية العراقية:

معلوم لدى الجميع أنّ العراق يُحكم من قبل الأحزاب الشيعية، وبالتحديد من مكون معين من الأحزاب الدينية الشيعية (حزب الدعوة/ نوري المالكي) والذي استأثر وسيطر بالحكم دون بقية الأحزاب الشيعية.

في الوقت ذاته أصبحت الهيمنة الإيرانية داخل العراق قوية بحيث لا تستطيع أي حكومة شيعية عراقية - أيّا كان انتماؤها - من التحرر والتخلص أو التملص من هذه الهيمنة، رغم أنّ الحكومة الشيعية كانت تريد وترغب في أن تبني علاقة صداقة ومعاونة مع إيران لا علاقة تبعية؛ لأنّ

(*) كاتب عراقي.

الشيعة العراقيين يشعرون أنهم يمتلكون بلدا غنياً، ولا حاجة لهم بإيران، وأن العديد من الاتجاهات الشيعية كانت لها رغبة بعلاقة شيعية أمريكية، وليست شيعية إيرانية إلا أنّ إيران ترفض ذلك وتصر على تبعية شيعية خالصة لها بحكم نظرية (ولاية الفقيه).

أما الخشية من الضربة السورية فهي مصلحة مشتركة بين الطرف الشيعي العراقي الحاكم وغير الحاكم، والطرف الإيراني.

الجانب العراقي؛ شيعة السلطة وغيرهم: هذا الفريق يخشى من تبدّل الموازين في المنطقة، وأن يخسر حليفا قويا (سوريا) طالما آواه ودعمه خلال فترة المعارضة في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، فقد تواجدت الأحزاب الشيعة بوفرة في سوريا وتحت رعاية أجهزة مخابراتها.

كما تمثل سوريا فضاء تتحرك فيه الشخصيات والأحزاب الشيعية العراقية بكل أريحية وحرية، فخسارة سوريا خسارة حليف مهم للشيعة.

في ذات الوقت يمتلك هذا الحليف (سوريا) علاقات جيدة بالأحزاب الشيعية اللبنانية (حزب الله وأمل) وهناك علاقة استشارة وملجأ وعلاقات فساد اقتصادي كبيرة بين كل الأحزاب الشيعية العراقية واللبنانية، فلبنان مأوى لكل السياسيين الشيعة، ومن خلاله يتم تهريب أموال الفساد العراقي إلى داخل لبنان ومنه يتم غسيل الأموال أو نقلها إلى بنوك أخرى، وسوريا ممر آمن ووسيط جيد بين لبنان والعراق.

كل هذه الأمور ستُفقَد في حالة زوال النظام السوري العلوي، وستنقلب الآية، وستكون الشام مأوى للسُنة العراقيين وملجأ وعمقا لهم. وسيكون هناك أرضية لتواجد المعارضة السنية وغيرها ضد النظام العراقي الشيعي، وكل هذا يشكل خطراً على الحكومة الشيعية.

وكذلك تمثل سوريا عمقا لكل المحافظات السُنيّة في العراق، فحدود المحافظات السُنية (نينوى والأنبار) هي حدود العراق مع سوريا، وبقية المحافظات العراقية (صلاح الدين وديالى وكركوك وبغداد) ملتصقة بهذه المحافظات السنية فهي تشكل ديمغرافية سُنية خطرة، تقف بموازاة الامتداد الشيعي للجنوب مع إيران.

من ناحية أخرى ستجد المقاومة العراقية - وهي مقاومة سُنية بامتياز[1]- ملجأ جديداً داخل سوريا بوضع جديد مختلف عما سبق إذْ أن أي خطر سيواجه سنة العراق فإن المقاومة ستجد أرضاً وفضاء تتحرك بها وتخطط منها، وحاضنة ترحب بها؛ لأنّ منْ مصلحة سوريا الجديدة وجود سُني قوي، وإضعاف الوجود الشيعي في العراق.

كما سيكون لسيناريو الإقليم السُني (المحافظات السُنية) أرضية للعمل بصورة جيدة وبدعم من قبل سوريا أو مباركة غير مُعلنة، ليكون حاجزاً بينها وبين الحكومة العراقية الشيعية وإيران. كما أنّ هناك مصالح اقتصادية بين العراق وسوريا وستكون بشكل أكثر وأكبر بينها وبين المحافظات السُنية.

وأهم من ذلك كله أن هناك وفرة تسلّح كبيرة داخل سوريا ستتيح للمقاومة العراقية الشريفة سهولة العمل داخل العراق؛ لأنها مصلحة مشتركة (عراقية سورية).

حركة استباقية للحكومة العراقية:

منذ أشهر وقلق المسؤولين العراقيين من الوضع في سوريا يتزايد، ومع سيطرة الثوار السوريين على منطقة اللاذقية مُقتربة من قرى مدينة القرداحة (بلدة بشار الأسد) حتى دقّ ناقوس الخطر في سوريا وإيران والعراق، ومع أخبار تدفق أسلحة نوعية للثوار ازداد الأمر وتفاقم برأي هؤلاء الذين أحسوا بتغير الأوضاع وضعف النظام برغم حجم الدعم الكبير من حزب الله وميليشيات عراقية (ميليشيا أبي الفضل العباس) وغيرها، مع الحدث الأهم وهو محاولة اغتيال بشار يوم عيد الفطر.

---

(١) صدر بيان من المقاومة الإسلامية (حزب الله) في العراق وفيه تهديد بضرب المصالح الأمريكية بالمنطقة في حال توجية ضربة عسكرية لسوريا، ومعلوم للجميع أن الشيعة لم يكن لهم أي مقاومة للمحتل الأمريكي طوال فترة احتلاله للعراق.

عندها جرت حركة استباقية قوية في العراق؛ محطة ومسرح التحركات الإيرانية؛ فازدادت ضربات وانفجارات السيارات المفخخة في العراق بشكل غير طبيعي، تضرب مناطق سُنية تارة وأخرى شيعية بشكل عشوائي بلا هدف سوى إثارة الفوضى والقتل والدم، وجرت حادثة سجن أبو غريب وفرار قيادات القاعدة منه.

زامن ذلك تدهور الأوضاع في مدينة الموصل بشكل واضح، وشَلّت القاعدة حركة المدينة وسيطرت على جوانب مهمة منها مع وجود قوات كبيرة من الجيش الشيعي فيها، هذا العمل المفبرك والمرسوم بدقّة من قبل إيران بالتعاون مع بعض القوى الأمنية العراقية أدى إلى إطلاق عملية من قبل الحكومة العراقية للسيطرة على حزام مدينة بغداد السُني، مدعية أنه مصدر هجمات القاعدة على مدينة بغداد وغيرها، أسمتها (ثأر الشهداء) اعتقلت به مئات من السُنة بدعوى الإرهاب!

تزامن هذا مع عملية هروب سفّاك دماء السنة، قائد الفرقة ١٧ في الجيش العراقي، ناصر غنام هو وعدد من الضباط والجنود (وصل العدد إلى ٥٠٠ عسكري) بأمر منه بحجّة فشل عملية حماية سجن أبي غريب إلى خارج العراق مهربا كما كبيرا من الأموال معه، وذاهبا إلى الأردن - مصر ومنها إلى سويسرا. وهروبه مُفبرك كي لا يتعرض للمساءلة من قبل أحد من النواب أو المسؤولين ويكشف الأمر، ولتضيع حقيقة وفضيحة تهريب السجناء.

أما عملية ثأر الشهداء فهي حركة استباقية لاعتقال أكبر عدد من السنة النشطين؛ ممن له علاقة بالمجاهدين والمقاومين العراقيين أو من الذين يمكن أن يتحركوا مستقبلا، تحسباً لأي انعكاسات جديدة بعد سقوط بشار.

الجانب الإيراني:

أمّا بالنسبة لإيران فسوريا لها شأن مختلف؛ ففقدان سوريا هو كسر لهلالها الذي عملت سنين طويلة لصناعته، وصرفت أموالا طائلة على ذلك، منذ زمن حافظ الأب إلى الابن بشار الذي أصبح رهينة بيد إيران كما يقال، وكان مخطط إيران كبيرا؛ فقد كانت تخطط على أن تنشئ الهلال الشيعي الذي يمتد من إيران - العراق - سوريا – لبنان؛ ليكون هو البداية للدولة الإسلامية الشيعية العظمى التي ستتحقق عام ١٤٥٠هـ كما وعد بذلك آية الله مطهراني عام ١٤٠٠هـ؛ لذلك سترمي إيران بقضّها وقضيضها لتنقذ سوريا إلى آخر رمق للنظام[1]. وستدفع حكومة العراق وحزب الله بكل جهدهما العسكري والمادي لإنقاذ بشار ونظامه.

لقد كانت سوريا بشّار، جزءا من المخطط الذي تمارسه المخابرات الإيرانية لشراء أصوات السُنة وشيوخ العشائر السنية العراقية وذممهم برواتب وهبات ونساء، بديلا عن سفرهم المباشر إلى إيران وافتضاحهم، كما كان لتواجد المقاومة العراقية في سوريا – مضطرة- معرفة بتفاصيل التحركات المقاومة السُنية لإيران، وبدلا من الامتداد الشيعي الإيراني العراقي السوري اللبناني، سيُكسر الهلال ويتولد امتداد وتعاون جديد: سوري – تركي- سنة العراق (محور سني قوي)، سيكون شوكة لإضعاف العلاقة الشيعية (اللبنانية والعراقية) ويؤدي إلى تقلّص الوجود الشيعي. وهذه حسابات يفهمها من يعمل في الإستراتيجية والأمن القومي للبلاد الذي لم يعد في حدود الدول كما كان التفكير سابقاً.

وستفضح الوثائق التي سيُعثر على بقاياها بعد ذهاب النظام السوري عن علاقات مخيفة بين إيران وسوريا من جهة، وسوريا والعراق الشيعي الجديد، وسوريا وحزب الله. عندها سيكتشف الجميع كم كان أثر الثورة السورية عظيماً في العالم الإسلامي مهما كان نوع النظام الجديد في سوريا، وسيغبط

---

(١) هذا ليس أمرا مكتشفا بل هو مكتوب منذ سنين، ومتوفر للجميع فعجبا للرئيس المصري السابق مرسي- فكّ الله أسره - عندما صرح في زيارته لطهران بتاريخ ٢٠١٢/٨/٣٠م، أن إيران ليست جزءا من المشكلة بل هي جزء من الحل، ودعا إلى أن تكون إيران في اللجنة الرباعية لحل الأزمة السورية.

كل من دعم هذه الثورة بمال أو سلاح أو كلام، بعظيم الأثر على الأمة قاطبة، ويتحسّر من خذل هذه الثورة أو صرف الناس لغيرها من الثورات لغايات ورؤى حزبية ضيقة، أو لم يحسب لها حسابها، وقد تُبلى المليحة بالطلاق!

وستعود سوريا داعماً للسُنّة العراقيين ولكل الوطنيين الشرفاء في العراق؛ لأنه من مصلحتها وأمنها القومي، بعد أن كانت داعمة للأحزاب الشيعية، كما أنّ من مصلحة الطرفين (العراقي والسوري) توجّه المال العراقي وأثرياء العراق للاستثمار داخل سوريا؛ فسوريا بعد التحرر من نظام سوريا العلوي الشيعي سترحب بأي استثمار سُني عربي، وستكون سوريا بحاجة إلى إعمار البلد بعد أنْ دمّرته حروب السنين الثلاث، وستكون سوريا الجديدة باقتصاد حر مفتوح منافساً للبنان؛ لذلك فإن توفير بيئة آمنة جيدة مطلوب من حكومة سوريا الجديدة؛ لأن رأس المال جبان؛ وستسعى إسرائيل وإيران والحكومة العراقية (الشيعية) وربّما غيرها منْ دول الغرب ومن يعينهم إلى جعل سوريا أرضا قلقة غير مستقرة مُنشغلة بذاتها غير قادرة على دعم غيرها.

التطرف دائما حاضر لحل مشاكل الخصوم:

منذ معركة القُصير ونحن نسمع من حسن نصر الله نغمة جديدة وهي أنّه يقاتل التكفيريين والقاعدة، ثم ارتفعت هذه النغمة في العراق كذلك، وأصبح سيناريو هروب المساجين من القاعدة من السجون في عدة دول، وانشغل العالم بأفريقيا والقرن الأفريقي واليمن، وسيناء والشام والعراق بتحرك كبير للقاعدة، وتكونت دولة الإسلام في العراق والشام، وكما ذكرنا انتشرت القاعدة في الموصل، بشكل غير مسبوق وتواردت الأخبار عن مقر في العراق للمتطرفين ينفذ عمليات داخل سوريا ويهرب للعراق فأين الجيش العراقي؟ ولماذا أقام الجيش العراقي الدنيا عندما اقترب الجيش السوري الحر وبعض الفصائل السورية من الحدود العراقية السورية، ولماذا الحدود مستباحة لهؤلاء فقط؟ حتى غدت لهم مقرات كبيرة في العراق. إن الجماعات التكفيرية كانت عن قريب (قبل الحراك السوري) مسرحها داخل سوريا ومنها تنطلق للعراق وصِلتها بالأجهزة الأمنية السورية معروفة.

اليوم بسهولة ويسر تحولوا إلى مقاومة، ولو لم يوجد هؤلاء المتطرفون في سوريا لأوجدها الأسد واخترعها فهي واجهة مهمة في تشويه الثورة المدنية والنبيلة لأطفال درعا، ويصدّق ذلك ما فعلته هذه الجماعات في العراق من تنشيط لهم وإحداث تفجيرات تخلخل الأمن، حتى أعلنت السفارة الأمريكية مغادرتها للمنطقة الخضراء، كل ذلك برر للحكومة انتشار أمنيا غير مسبوق لتبرير كثير من التحركات الأمنية، وكان من أشهرها تحرك قوات إيرانية (عشرة آلاف إيراني) بملابس جنود عراقيين، من منطقة جنوب الثرثار متوجهة إلى الحدود السورية العراقية جنوب محافظة نينوى ثم تبعها بعد ٢٠ يوما قوات من منطقة النخيب، والتي تم السيطرة عليها من قبل جنود عراقيين وإيرانيين، للتوجه إلى الحدود الأردنية العراقية.

بعد الضربة الكيماوية المفجعة التي أودت بحياة ١٥٠٠ بريء ومدني سوري في الغوطة. هذه قراءة للأحداث وتحركات الحكومة العراقية قبيل الضربة الأمريكية المنتظرة لسوريا.

موقع القاعدة في الصراع "الإسلامي - الشيعي"

سعيد بن حازم السويدي(*) – خاص بالراصد

تشهد منطقتنا منذ أكثر من ثلاثة عقود صراعاً شرساً مع الشيعة، ولابد من الاعتراف أولا بأن الشيعة حققوا مكاسب كبيرة وانتصارات عديدة وتمكنوا من السيطرة المباشرة وغير المباشرة على أجزاء واسعة من بلادنا.

وقد ندرك بعض أسباب التفوق الشيعي، إذا

(*) كاتب عراقي.

نظرنا إلى اتحادهم واجتماع كلمتهم واتفاق جموعهم على محاربة المسلمين، وهذا الاتحاد والاجتماع لا يتأتى إلا بوجود قضية عامة ومصلحة عليا تتمحور الجهود حولها، وهذا يتطلب بالضرورة تقديم التنازلات وتأجيل الخلافات الداخلية في سبيل نصرة القضية الأساسية والهدف الاستراتيجي للمذهب.

كلا الأمرين: (الإيمان بالقضية، والعمل الجاد من أجلها) يفتقدهما الجانب السني، فلا يقف بوجه إيران ومشروعها سوى ثلة من السلفيين على قلة في إمكاناتهم، وخذلان من بني جلدتهم.

فنحن أمام مواجهة غير متكافئة بين عدو يُحسن المكر ويحترف شن الحروب واختراق البلدان، ومجموعة قليلة العدد محدودة الخبرة والقدرة، وعليه فأولى أولويات هذه الجماعة هو الحرص على تماسك صفها ونقائه ضماناً لسلامة العمل وديمومته.

وأهم التحديات التي تواجه المشروع المناهض للتشيع ظهور فئات دخيلة متطفلة تزعم الحرص على المصلحة السنية، وتسعى لإقصاء مخالفيها والعبث في ساحة المواجهة مع إيران.

وحتى نجتنب الكلام الإشارات والرموز، فإن تنظيم القاعدة ومن يسمون بالجهاديين يحاولون تقديم أنفسهم كمقاتلين غيارى على الإسلام والسنة وأهلها، غير أنهم في واقع الحال مساهمون بقوة في إضعاف الجبهة السنية وخلخلة صفوفها وتمكين عدوها منها، ومن يعشق نظرية المؤامرة لا يتردد بالقول إن القاعدة أصبحت أداة إيرانية لإفشال محاولات التصدي لإيران!

إن الأدلة والحجج التي يستند إليها من يتهم القاعدة بالعمل لصالح إيران قوية ومتينة لا يمكن معارضتها وتفنيدها ومن أهمها:

١- **عدم إنكار القاعدة للاتهامات بالعمالة لإيران:** وهذا من أقوى الدلائل لأن القاعدة تحترف توجيه الاتهامات لمخالفيها، وتسارع إلى نفي كل ما يسيء لسمعتها فهي خير من يجيد الحرب الإعلامية، لكنها لم تواجه هذه الاتهامات سوى ببعض النفي المتواضع والإنكار الخجول الذي لا يفند تفاصيل الاتهامات، وغالباً ما تتجاهل القاعدة الحديث عن هذا الأمر، وكأنه لا يعنيها!

٢- **عدم التعرض لإيران ومصالحها وحلفائها في عملياتها:** وهذا واضح بيّن فالقاعدة استهدفت بتفجيراتها: نيويورك ومدريد ولندن والرياض والرباط وعمّان، وأحرقت العراق وما زالت، وتعبث لليوم بأمن اليمن، لكنها لم تتعرض لإيران وسوريا ولبنان ولم تضرب مصالحها في تلك الدول، فالقاعدة تتحرك في المنطقة متجاهلة وجود دولة تُسمى «إيران»!!

ولم أكن أتوقع أن تصرّح القاعدة بهذا، حتى وقفت على كلام لعطية الله «لويس» أحد رموز القاعدة وكتابها حيث يقول: (لو كان المجاهدون لا يحسنون تحييد الخصوم ولا يعرفون فن التحكم في فتح وإغلاق الجبهات لرأيت شيئا من الفوضى والانفلات لم يستطع معه أحد جهاداً..!

إذا كان المجاهدون لا يعرفون هذه الأشياء ولا يبالون بموازين المصالح والمفاسد ولا يفقهونها لماذا لم يشعلوا الحرب في الشام، وفي بلدان الخليج، وفي كثير من البلدان، ولماذا لم يضربوا الصين والهند ولم يعلنوا الحرب على باكستان، وانظر كيف يحيّدون الجيش الباكستاني في وزيرستان، **وانظر كيف حيدوا إيران وسكتوا عنها طويلا وصبروا على هذا السكوت ولاقوا فيه الأذى)** [1].

ويقول عطية الله في موضع آخر: (هي - يعني الدولة الايرانية - تحاول أن لا تدخل في مواجهة مع المجاهدين، والمجاهدون أيضا يتفادونها) [2].

٣- **شهادة قادة المقاومة العراقيين السنة على**

(١) حوار مركز اليقين الاعلامي مع عطية الله (حزيران ٢٠٠٧).
(٢) حوار مع منتديات شبكة الحسبة.

عملها لصالح إيران: وهي شهادة مبنية على خبرة طويلة وتجربة مرّة، ويكفينا في هذا الباب ما صرّحت به الفصائل الجهادية العراقية من سقوط القاعدة في الشَرَك الإيراني وتحولها إلى مليشيا إجرامية تعمل عمل مليشيا الصدر في المناطق السنية.

٤- **المعلومات المتواترة عن علاقة قادة القاعدة بإيران،** وعن تلاعب النظام السوري بها و توجيهه لتحركاتها.

لكننا لن نتوقف عند هذه الدلائل، بل سنعمد إلى قراءة سلوك القاعدة وسياساتها ونسلط الضوء على تصريحات بعض قادتها التي لم تنتشر بشكل واسع، لنرى إن كانت القاعدة تقف مع أهل السنة في معركتهم أم مع عدوهم؟

إن المبادئ والمنطلقات التي تدفع القاعدة للعمل المسلح لا تلتقي مع جبهة المواجهة مع الشيعة التي يقودها السلفيون، بل إن التنافر الشديد والتباين الحاد بين المنهجين (الثوري) و(السلفي الإصلاحي) يؤكد أن الأمر تعدى عدم التوافق والالتقاء، إلى المصادمة والمواجهة العنيفة، مما جعل القاعدة في طليعة الجبهة الإيرانية المعادية للمنطقة العربية، والحركات السنية المناهضة للعدو الشيعي.

فالقاعدة ليست سوى حركة ثورية كلاسيكية بمظهر ولباس إسلامي وعبارات ومصطلحات سلفية، أما الأسس والأولويات والأهداف فهي امتداد للتيار الثوري التي انتشر في معظم الاتجاهات الفكرية المعاصرة: (الإسلامية، واليسارية الاشتراكية، والشيعية - الإيرانية، والعلمانية القومية)، فهؤلاء جميعاً يشتركون في عداء الولايات المتحدة والغرب وقوى الهيمنة، بالإضافة إلى حلفائهم في الأنظمة العربية.

ولأن «إيران الخميني» أقوى الأطراف المنتسبة للثورية ومعاداة الاستكبار العالمي والصهيونية، وهي التي تقود تيار محور (المقاومة والممانعة)، فأصبح كل من شاكلها وشاركها في المبادئ الأساسية والخطوط العامة دائراً في فلكها منخرطا في خدمتها، داعماً لمشروعها لحاجته إليها.

فنتائج عمل القاعدة تخدم المشروع الشيعي الخميني، بل وتصب في مصلحته، لأن القاعدة لا تملك مشروعاً مستقلاً ولا تحمل رؤية واضحة لكيفية استثمار نتائج العمل المسلح الثوري الذي تمارسه، وغاية عملها هو استمرار العنف والفوضى، مما يسهل على إيران قطف ثمرة القاعدة!

أما التباين الفكري والديني بين القاعدة والشيعة فشبهة هزيلة لا تقوى على دفع الوقائع والحقائق المؤكدة بـ (فائدة القاعدة للمشروع الإيراني)، وهذا لا يتطلب اتفاقاً مكتوباً بين قيادة القاعدة والدولة الإيرانية كما يعتقد بعض الجهلة السُذج، فعمل القاعدة يذهب بالمجان لخدمة إيران دون الحاجة لتوظيفه وحرف مساره باتجاه المنفعة والمصلحة الشيعية، فكيف إن وقع هذا التوجيه وحصل هذا التوظيف، لا شك بأنه أثره سيكون أكثر تركيزاً.

القاعدة ومشروع تصدير الثورة الإيرانية

يعتمد تصدير الثورة الإيرانية على زعزعة أمن البلاد العربية واستهداف استقرارها السياسي والديني ونشاط القاعدة المنصب في دعم هذا الاتجاه يتمثل بـ:

١- تكفيرها للحكومات العربية والدخول في مواجهة غير متكافئة معها ينتج عنها:

- خسارة القاعدة المؤكدة.
- اضطراب الأمن واختلال النظام العام، وزيادة مستوى الاستبداد الذي ينعكس على الشعوب السُنية والحركات الإسلامية، ومسيرة الدعوة والعمل الخيري.

٢- تقديم قتال الجيوش العربية على الجيوش الغازية، من باب أولوية قتال المرتد على قتال الكافر الأصلي! وقد عبّر عن هذه الرؤية أبو عمر

البغدادي (الزعيم السابق للقاعدة في العراق) في أحد خطاباته حيث قال: (إننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي) [1].

إن نزعة القاعدة لمواجهة الداخل الإسلامي، والانحراف عن المعارك الأساسية يُشكل أكبر مكسب للإيرانيين الذين استنفروا كل قواتهم للنيل من البلدان السنية، لكنهم وجدوا أن القاعدة مستعدة للقيام بالمهمة دون أي ثمن!

فالقاعدة حينما تسعى للتمرد على كل ما هو موجود في الساحة السنية (أنظمة، جيوش، علماء، نُخب، عوام) ثم تطمح بعد انقلابها لقيادة مشروع الحكم بالشريعة ومواصلة الجهاد فإنما تتطلع إلى حلم وخيال، يؤكد على أنها غير مؤهلة حتى لرعي قطيع من الغنم!

غياب أي رؤية لمواجهة الأقليات

القاعدة تكتفي بترديد الشعارات ضد (أمريكا وإسرائيل ومن معهما) في الوقت الذي تنتهك أمريكا وإسرائيل فيه مقدرات الأمة، ومن وسائلهما في ذلك توظيف الأقليات لصالحهما بما يضر الأمة ويعرقل مسيرتها، فالأقليات (الشيعية، النصرانية، الدرزية، العلوية) أصبحت من مصادر الداء والبلاء، وقد أحدثوا فينا ما عجزت عنه الدولة العبرية.

لقد حُرفت الصورة وتم التلاعب بالمشهد، فأصبحت هذه العناصر المفسدة تُصور لنا على أنها في مقدمة الجبهة الثورية التحررية المقاومة للغزو الأجنبي المدافعة عن الأمة العربية، فبعض النصارى أصبحوا هم الرموز الفكرية للاتجاه القومي العربي، وشيعة العراق هم قادة ثورة العشرين ضد الإنكليز، والخميني (الثائر على الشيطان الأكبر) أصبح هو الملهم الروحي، والنموذج المثالي للتيار الإسلامي الثوري، وحسن نصر الله هو سيد المقاومة وزعيم الانتصارات في زمن الهزائم! والنظام العلوي هو الحاضنة الأخيرة لقوى المقاومة الفلسطينية واللبنانية.

إن كل ما حواه تاريخنا، وكل ما يتضمنه واقعنا المعاصر، يشهد بأن الأقليات الدينية والطائفية هي مصدر الخراب والاضطراب والحروب والفوضى، ويشهد كذلك بأن إسرائيل أشد حاجة لهذه الفئات الحاقدة من حاجتها إلى التسلح المستمر وعسكرة المجتمع اليهودي وحشد الدعم الدولي لقضيتها.

فاستقرار إسرائيل مرهون بسيطرة الأقليات، لأن كلا الطرفين يشعر بالخوف من محيطه الإسلامي، وإذا كانت إسرائيل تحلم بتوسيع مساحة الاستيطان في الضفة الغربية، والاستيلاء الكامل على مدينة القدس، فإن أطماع الأقليات تتعدى ذلك إلى السيطرة على البلاد جميعها ووضع اليد على ثرواتها وتسخير الشعوب السنية لخدمة أبنائها.

لم يكن الدعم الغربي – الصهيوني لهذه الأقليات والمليشيات من موقع القوة، وإنما من موقع الحاجة والافتقار والاضطرار إلى دعمها لأن الاستقرار والانتصار اليهودي في فلسطين لا يتم إلا بسيطرة نظرائهم في البلدان الأخرى.

موقف القاعدة مما سبق

لا نجد ذكر الأقليات في خطاب القاعدة، فضلاً عن أن نجدهم في ميدان التصدي لأطماع الطوائف في لبنان وسوريا والعراق واليمن والبحرين والكويت، فلم يذكر للقاعدة أي جهد مقاوم للنزعات التوسعية والانفصالية لدى كثير من الأقليات والطوائف في منطقتنا، ويكفي مثلا أن القاعدة تخوض حربا ضروسا ضد الدولة اليمنية بينما تقف متفرجة على اعتداءات الحوثيين المتكررة في اليمن على اليمنيين المسلمين!!

(١) خطابه (إني على بينة من ربي) بتاريخ ٢٠٠٧/٣/١٣، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، ط ١، ٢٠١٠.

القاعدة والتصدي لحركات المقاومة لإيران

١- الدعوة السلفية

إذا ذُكرت «مقاومة التشيع وإيران» برز السلفيون في طليعة هذا المعسكر الذي تفردوا بقيادته دون مبالاة بمَن خالفهم أو خذلهم من جهلة الإسلاميين والقوميين، وما زلنا نؤكد أن القاعدة تشتد في محاربة السلفيين وتجتهد في النيل منهم، لأن:

- المنهج السلفي عقبة في وجه القاعدة لا يمكن تجاوزها نظراً لأصالته في العلم والدعوة والعمل البنّاء.

- كما أن السلفية بطبيعتها حرب على الأهواء والآراء الشاذة المنحرفة عن سبيل السنة والجماعة.

- ولأن السلفية تقود الأمة في معركتها ضد التشيع، كان لازماً على القاعدة كعنصر مطيع في خدمة دولة المرشد الايراني أن تتخذ السلفية عدواً تسعى في النيل منه والقضاء عليه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ولذلك نجد القاعدة:

- تدعي الانتساب للسلفية فيسمون أنفسهم بـ«السلفية الجهادية».

- لكنها تحرف المفاهيم والمفردات السلفية (التوحيد، الكفر بالطاغوت، الولاء والبراء) باتجاه مذهبها الفاسد، فيؤدي ذلك إلى نفور الناس عن السلفية (بمبادئها ودعوتها وأعلامها)، ويُفسح المجال أمام المناوئين والأعداء للتشنيع عليها واتهامها بكل قبيح.

- نقمة القاعدة على السلفية، كنقمة اليساريين الشيوعيين على الدين الذي يعتبرونه وجهاً من أوجه التخلف والرجعية، وأداة تخديرية لصرف الشعوب عن المطالبة بحقوقها والثورة على الطبقة الارستقراطية الحاكمة، وهذا من تلبيس إبليس، أن تُجعل الدعوة إلى الحق حجر عثرة في سبيل تحصيل الحقوق ورد المظالم والانتصاف من الظالم، فمحاربة التشيع والتصدي للمبتدعة والدعوة للتوحيد لا يراها أتباع القاعدة سوى انحراف عن الجهاد وتعطيل له.

يقول أبو محمد المقدسي متعرضاً لما سماها «أساليب الطغاة لتمييع ملة إبراهيم وقتلها في نفوس الدعاة»: (ومن ذلك أيضاً ما يلجأ إليه كثير من هؤلاء الطواغيت من تجنيد العلماء وشغل أوقاتهم لصالحهم في محاربة خصومهم ومن يخافونهم على أنظمتهم وحكوماتهم كالشيوعيين مثلاً أو الشيعة أو غيرهم ممن يهددونهم ويهددون حكمهم.. فيلجأ الطاغوت إلى بعض هؤلاء العلماء المتحمسين المبغضين لتلك الاتجاهات الضالة.. فيعينهم على أولئك الأعداء المشتركين ويخادع هؤلاء العلماء بإظهار حرصه على الدين وعلى أهله وتخوفه من أولئك على حرمات المسلمين، ويمدهم بالعون والدعم المادي والمعنوي لمحاربة أولئك.. فيسقط هؤلاء المساكين بحبائله ويضيعون أعمارهم وأوقاتهم ودعواتهم في نصرة عدو على عدو)[1].

وهذا الكلام طالما سمعناه من قادة «الإخوان» وغيرهم الذين اتهموا السلفيين بالعمل لصالح معسكر الاعتدال ضد محور الممانعة (إيران وحزب الله، والنظام السوري).

القاعدة: حرب على السعودية، سلام مع إيران!

لا يختلف خطاب القاعدة عن خطاب الخميني في مهاجمة السعودية الوهابية الموالية للاستكبار العالمي، فكلاهما يدور في نفس الدائرة وينتهي إلى نتيجة خلاصتها أنه لا بد من القضاء على هذه الدولة (بحكامها وعلمائها ودعاتها).

ولو جمعنا ما صدر عن رموز القاعدة ضد السعودية وقارناه بما صدر منها ضد إيران لتبين مقدار التوافق والالتقاء مع الإيرانيين في خطابهم

(١) من كتابه (ملة إبراهيم)، الفصل الأخير.

وسياستهم.

- فكلا الطرفين يسعى لزعزعة الأمن في المملكة، فإيران من خلال خلاياها ومخابراتها وشيعتها في المنطقة الشرقية، وتهريب المخدرات، والقاعدة عن طريق التفجيرات والعمليات المسلحة.

- تعمل القاعدة على استهداف الدبلوماسيين السعوديين في الخارج كما حصل في باكستان واليمن، بينما لا تتعرض لسفراء إيران.

- وجدنا أن كثيرا من عناصر التطرف ورموزه لديهم مشكلة مع شيوخ السلفية الكبار كابن باز وابن عثيمين والألباني، ولم نجد لهم خلافاً مع خميني وخامنئي وسعيد جليلي ورفسنجاني وقاسم سليماني، وربما كثير منهم لا يعرف رموز العدو الإيراني، فضلاً عن إدراك شيء من مشروعه وأطماعه.

- يهاجم تنظيم القاعدة في اليمن الدولة السعودية، ويتغافل عن المصالح الإيرانية والمليشيات الحوثية.

- يعترض مفكرو القاعدة على دعوة السلفيين للتوحيد، ويرون في ذلك تشويهاً وانحرافاً عن المعنى الذي يحرض على التمرد على الأنظمة وهو عين دعوة الخميني إلى «البراءة من المشركين» (يقصد بذلك الأنظمة العربية). والبراءة من المشركين أصل عظيم في دعوة الرسل لا يجادل في ذلك أحد، أما مراد الجهلة الغلاة (القاعدة والثوريين من الإسلاميين)، من هذه الدعوة فهو القضاء على الدعوة الإسلامية بعد إدخالها في مواجهة غير متكافئة مع الأنظمة وقوى الباطل، فهي دعوة لتسريع الإجهاز عليها، أما الخميني فإنه بدعوته إلى البراءة من المشركين، إنما يدعو الناس إلى الشرك، بتقديس الأئمة وعبادة قبورهم.

- تدور أطماع الشيعة وأحلامهم في السعودية حول إعادة الأوثان والقباب والمشاهد إلى المدينة النبوية، فالغاية هي: إعادة الشرك إلى جزيرة العرب.

والقاعدة حينما تحرّض الشباب والعلماء والدعاة إلى إعلان الجهاد ضد الدولة، إنما تدعوهم الى حياة السجون والمعتقلات والإعدامات، وإخلاء المجتمع من عناصر الحماية والوقاية من الشرك، الذي سيتسلل شيئاً فشيئاً ليقيم أوثانه، بعد أن تصبح مرتعا للعلمانيين والطائفيين!!

إن إيران ليست بحاجة إلى جيوش أو خلايا مسلحة لإسقاط السعودية، وحسبها أن تدعم نشاط القاعدة في دعوتها إلى حرب الدعوة السلفية، ليتحقق هدفها!!

٢- المقاومة العراقية

لا ينبغي النظر للمقاومة في العراق على أنها حركة جهادية ضد المحتل الأجنبي فحسب – وإن كان انطلاقها بالأساس لهذا الغرض- ، إلا أن واقع الصراع أجبر المقاومة على تغيير المسار وإعادة الحسابات لأن العدو الأخطر والشر الأكبر تمثل في (إيران وشيعة العراق)، أما الأمريكان فكانوا أداة داعمة ومنفذة للمشروع الإيراني بشكل أو بآخر.

كان تنظيم القاعدة حاضراً بقوة للتصدي للمقاومة السنية المتصدية للخطر الإيراني من خلال:

١- حرب التخوين والتكفير التي بدأت منذ عهد الزرقاوي.

٢- حرب التصفيات والاغتيالات والتفجيرات، ضد عناصر الجماعات الجهادية وقياداتها والتي بدأت مبكراً كذلك.

٣- الصدام مع المجتمع السني الذي يواجه ضغطاً مركزاً من الشيعة والأمريكان.

٤- تركيز الاستهداف على أكبر الفصائل السلفية الواعية لخطر إيران (الجيش الإسلامي في العراق).

٥- استهداف الشيعة استهدافاً لا يضر دولتهم ولا يوقف تمددهم، بل يحرضهم ويجمعهم على حرب السنة وإبادة أهلها.

٦- إعلان «دولة العراق الإسلامية» بالتزامن مع الحملة الشرسة على أهل السنة في بغداد (٢٠٠٦)، ليبدو الأمر وكأنه اتفاق بين دولة المالكي في بغداد، ودولة القاعدة على توحيد الجهود وتركيزها ضد المدن السنية.

٧- كانت القاعدة تخوض حربها وعيونها على بيت المقدس كما قال الزرقاوي، أما خطر الشيعة والدفاع عن العاصمة بغداد وإعداد ما يلزم لمواجهة مفتوحة طويلة الأمد مع المليشيات الشيعية العراقية والدولة الإيرانية، فلم يكن يخطر ببال القاعدة.

٣- المقاومة الإيرانية «حركة جند الله البلوشية»

من الطبيعي أن لا نجد للقاعدة أي نشاط يذكر داخل إيران أو اي استهداف لمصالحها في الخارج، فالجهاد عند القاعدة لا يستقيم إلا في دولة سنية.

لكن ما لا يعرفه الكثير أن القاعدة ترى أن استهدف النظام الإيراني لا يمثل مصلحة للمسلمين، وأن المصلحة هي استهداف الدول السنية!!

فقد سئل عطية الله أحد رموز القاعدة عن جماعة جند الله البلوشية المعارضة للنظام الإيراني فأجاب: (ليس لديّ معلومات وافية عن حركة جند الله في بلوشستان إيران التي يقودها عبد المالك، ولكن هي حركة سنيّة جهادية بالأساس، لكن لعل دخولها في مواجهة وحرب معلنة مع النظام الإيراني الآن يعتبَرُ مبكراً، ويحتاجون فيه إلى أن يكونوا منسجمين مع سائر إخوانهم في الحركة الجهادية العالمية، فإن لم يكن كذلك، فهو خطأ. والله أعلم.

وأهل السنة في إيران سواء في بلوشستان أو غيرها يبدو أنهم غير مؤهّلين في التوّ لدخول حرب مع النظام الرافضي، في مثل هذه الظروف العادية.

لكن يمكن أن تتاح فرص وتتغير معطيات الواقع فلا بد أن يكونوا مستعدين ولا بد للدعاة والإخوة الواعين أن يكونوا في المستوى، والله الموفق.

وإيران كما سبق وأن قلنا: بقدر ما هي دولة قوية، هي أيضا تحمل العديد من عوامل الضعف والانكسار السريع، وكل ذلك سينبني على ما يكون من أحداث وتفاعلات، نسأل الله أن يجعل عاقبتها خيرا لأهل الإسلام، فمعظم حدود إيران مناطق سنية قابلة للاضطراب والتحرك ضدها حين تواتي الفرصة، وطالبان والقاعدة على يمينها من هنا، بل وباكستان وأفغانستان ككل، والمجاهدون في العراق على يسارها من هنا، وسائر أهل السنة في الجزيرة والخليج وما جاورها، وهي تحاول أن لا تدخل في مواجهة مع المجاهدين، والمجاهدون أيضا يتفادونها، ونفس النظام الإيراني يعاني من تحولات وتناقضات اجتماعيّة وثقافية داخلية)[1].

والعجيب أن المبرر الذي ساقه عطية الله لعدم صحة فتح معركة الآن مع ايران متحقق في غيرها من الدول السنية التي فتحت القاعدة فيها معارك متعددة!!

٤- الثورة السورية

لم تمتلك القاعدة قبل الثورة أي خطة لإعلان الجهاد ضد العلويين أو حزب الله، لأنهم أسقطوا من حساباتهم أي مواجهة ضد الشيعة، بل لولا دعم النظام السوري المباشر وغير المباشر لما قام للقاعدة جهاد في العراق!

والأمر ليس بحاجة إلى إثباتات وأدلة، فسوريا كانت الشريان المغذي والمأوى الآمن لنشاط القاعدة، كما أننا نخجل من القول بأن النظام كان على علم بنشاط القاعدة وتحركاتها لأن هذا

(١) حوار مع منتديات الحسبة.

الاستنتاج يحسنه الأغبياء والجهلة فضلاً عن العامة والبسطاء.

وحينما يتعرض زعماء القاعدة لذكر النظام السوري لا يرون فيه إلا عميلاً للغرب وإسرائيل، يقول الظواهري في كلمته الأولى عن الثورة: (سلامٌ عليكم وأنتم تلقنون الباغي الظالم الخائن الغادر دروسًا في مقاومته ومقاومة ظلمه وفساده وخيانته ورضوخه للاستكبار العالمي وتخليه عن الجولان)، هذه مشكلة الظواهري مع بشار الأسد (التخلي عن الجولان)!

ومن الغريب أن يستخدم الظواهري المنتسب للسلفية الجهادية مفردة خمينية كـ (الاستكبار العالمي)! ويقول الظواهري: (قولوا لهما إنّ غضبتنا المباركة وانتفاضتنا الجبارة لن تهدأ بإذن الله حتى نرفع رايات الجهاد المنتصرة فوق جبل المكبر في القدس الحبيبة السليبة)[1]، ويقول في كلمة أخرى: (فاستحضروا نية تحرير بيت المقدس وديار المسلمين المحتلة بانتفاضتكم العزيزة الأبية)[2].

أما الحكم العلوي باعتباره امتداداً لمشروع شيعي يهدد المنطقة السنية فلا اعتبار له، ولا يشكل بذاته مشكلة لدى الظواهري والقاعدة!!

وحين توافرت الظروف لاستدعاء القاعدة في سوريا، فإن ظهورها لم يكن حميداً، بل كانت تنزع إلى الاستقلال والانفصال عن الركب الثوري مما يفتت الصف ولا يجمعه، ورغم تأخرهم وغربتهم عن أهل البلد إلا أنهم حاولوا تصدر المشهد وتسلم القيادة، وقاموا بتصرفات لا تصبّ في صالح الثورة مثل:

- رفض مطلب الشعب بالتدخل الخارجي والحماية الدولية، واعتبار ذلك استعانة بالكفار.
- تكوين تنظيمات مستقلة عن فصائل العمل المسلح السوري كـ (جبهة النصرة، دولة الشام والعراق).
- اعلان جبهة النصرة مبايعة الظواهري، وإعلان البغدادي قيام دولة القاعدة في العراق والشام.
- الدخول في صدامات واشتباكات مع الفصائل الإسلامية والقوى المحلية.

(١) كلمة له بعنوان (عز الشرق أوله دمشق) تموز ٢٠١١، تفريغ: نخبة الإعلام الجهادي الصادرة عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي.

(٢) كلمة (إلى الأمام يا أسود الشام).

تحرر المرأة والإرهاب النسوي

فاطمة عبد الرءوف[*] – خاص بالراصد

«من بين التبعات الخطيرة التي ترتبت على الحركة النسوية ذلك الحطّ من شأن عمل الأمهات حيث رسخ في اعتقاد صاحبات التوجه النسوي أن المرأة لن يمكنها التحرر إلا إذا تصرفت مثل الرجال، ولذا كن ينظرن نظرة دونية لمن تمضي وقتها في رعاية الرضع والصغار فمن وجهة نظرهن أن الأمومة ما هي إلا عمل رتيب وغير مجز لا يليق إلا بالخدم المنزلي»[3].

لم أجد أصدق من هذه الكلمات لافتتح بها هذا المقال الذي يناقش إشكالية معيار تحرر المرأة وتحقيق ذاتها وكينونتها الخاصة وهل تتحرر المرأة بصورة ذاتية داخلية أم أن هناك صورة محددة ذات شروط خاصة عليها أن تحققها وإلا اعتبرت مخطوفة ذهنيا ومقهورة ذاتيا!

أسباب الاضطهاد

لا يمكن لأي باحث موضوعي إلا أن يعترف أن النساء قد تعرضن لكثير من صور الظلم والاضطهاد على مدار التاريخ وحتى عصرنا الراهن، وهناك الكثير من القصص المؤلمة لنساء

(*) كاتبة مصرية.

(٣) فرانسيس كندال .. نقلا عن المرأة والمرآة، ص ٩٣.

تعرضن للظلم والإساءة لمجرد أنهن نساء.

وفي ظل مجتمعاتنا الإسلامية تبقى مشكلة المرأة بحجم مدى اقتراب أو ابتعاد تلك المجتمعات والأفراد من الفهم النقي للإسلام أو التعامل معه كجزء من العادات والتقاليد والثقافة السائدة.

فالإسلام وحده هو الذي يشتمل على آلية مثالية لوضع المرأة في القديم والحديث ليس فقط حزمة الحقوق التي تحصل عليها، والتي يتم المزايدة عليها، وإنما لأنه يشبع دوافعها النفسية والفطرية ولا يشعرها بأي تعارض بين ما تشعر به الأنثى في أعماق نفسها من مشاعر وعواطف وبين ما يفكر فيه عقلها بتجرد كإنسان بغض النظر عن نوعية جنسه.

إن المرأة كالطائر الذي يطير بجناحين فإذا اقتلعنا أحد جناحيه لا يمكنه أن يحلق أبدا .. وهذا ما تحاول الحركة النسوية أن تفعله وهي تسعى لتدمير المرأة وهي تزعم السعي نحو تحقيقها إنها تقتلع أحد الجناحين وتصله في غير مكانه بالجناح الآخر، تدعي أنها تقتلع جناح الضعف الذي فرضته التربية والتاريخ والمجتمع الذكوري، الضعف الذي تحول لمشاعر القهر الذاتي التي تحسها المرأة.

الإرهاب النسوي

وكم من امرأة مثقفة متعلمة اضطرت لقبول هذا الإرهاب النسوي حتى لا توصف بالتخلف والرجعية بينما في قرارة نفسها وفي أعماق مشاعرها وعقلها الباطن تحن للأنثى التي سلبوها منها، بعضهن امتلك شجاعة التغيير وكتب عن الصراع النفسي الشديد الذي عاشته وبعضهن لم تمتلك الشجاعة الكافية فدخلت لعبة المزايدات وتصدرن المشهد وادّعين بطولة مزورة وعانين سرا من الدوافع غير المشبعة بكل صور وآليات الدفاع النفسي، وعلى الجانب الآخر كرس أصحاب العادات والتقاليد صورة الأنثى العاطفية وعزلوا المرأة في قالب واحد وأفقدوها كل قوة ومن ثم - وبلا وازع من دين- ظلموها وأهملوها وأعادوها لعصر الجاهلية.

التحرر الحقيقي

التحرر الحقيقي للمرأة جاء به الإسلام فلقد صنع الإسلام من النساء باحثات عن الحرية الحقيقية ولقد شغلت النساء بالتفكير بلا قيود حتى أنهن سألن النبي ﷺ عن المقصد اللغوي في القرآن الكريم حيث يوجه الخطاب بلغة المذكر وهل يعني ذلك أنهن لا يذكرن أو أنهن أقل أهمية أوأقل درجة ومرتبة. لقد كان سؤالا محوريا بالنسبة لنساء أدركن أن التحرر الحقيقي لهن يكمن في أن يكنّ في الصف الأول إذا اجتهدن وبذلن وأن المساواة في الإيمان والجزاء هي المساواة الحقيقية وليست المساواة في تفاصيل الأعمال.

فعن أم عمارة الأنصاري أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. أخرجه الترمذي وحسّنه، وصحّحه الألباني.

فالخطاب القرآني موجّه للمؤمنين باللغة العربية ووفق قواعدها اللغوية، والخطاب بلفظ مذكر ولم ينص فيه على ذكر الرجال فإن ذلك الخطاب شامل للذكور والإناث، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١١٠].

وعلى الرغم من ذلك فالمرأة المسلمة مشغولة مهمومة بقضيتها الخاصة تريد تأكيدا يقينيا أن

هذا الخطاب وهذه التكليفات وهذا الجزء موجهة لها تحديدا فلم تتردد في طرح سؤالها على أعلى مستوى حتى تشعر ببرد اليقين، مما يشير إلى أن نساء ذلك العصر لم يكن يتلقين الأمور دون تفكير وتأمل وتمحيص ومن ثم يتساءلن ويتناقشن. إنها صورة جد مختلفة عن تلك الصورة البائسة التي تريد العلمانيات تصويرها للنساء المسلمات الخاضعات المستسلمات.

التعليم والعمل

لم يقرّ الإسلام حق المرأة في التعليم فحسب بل حث عليه وليراجع من شاء موقفه من تعليم أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها معارف عصرها وإذا كانت المعارف تختلف من عصر لآخر فإن مبدأ التعلم يبقى ثابتا وركيزة أساسية كي تستطيع المرأة أن تتحمل الأمانة فوق هذا الكوكب.

أما قضية العمل فلم يأتِ فيها نص بالوجوب والاستحباب أو الكراهية والتحريم فكل امرأة لها ظروفها الخاصة ومسئولياتها الخاصة والتدخل القانوني في مثل هذه الأمور يربك المشهد كله ويعقده.

تزوج النبي ﷺ السيدة خديجة وهي سيدة أعمال ناجحة، وتزوج السيدة زينب بنت جحش وكانت ماهرة بالصناعات اليدوية من صناعة جلود وتطريز بالخرز، وكانت تبيع ما تصنع وتتصدق به على الفقراء، **وتزوج غيرهن** ممن لا يقمن بعمل مأجور فالمسألة واسعة إذن والقاعدة الأساسية التي تحكم القضية أنه لا ضرر ولا ضرار.

هذا هو الإسلام وهذه هي الشريعة التي يزعمون أنها تكرس التمييز ضد النساء ويسعون من أجل (العمل الجدي من أجل فصل الدين كلية عن السياسة وإلغاء المادة الثانية من الدستور التي تعين الإسلام دينا للدولة وتقول أن مبادىء الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع.

إن هذه المادة في الدستور هي التي تجعل كل أشكال التمييز ضد المرأة شرعية)[(١)].

لقد بلغ بهم من عمى البصيرة أنهم يرون أن الأنظمة الاستبدادية الفاسدة التي تحكم أفضل من حكم الشرع الذي يشبهونه، معاذ الله بالغول.

(وإذا كانت حركة تحرير المرأة تواجه صعوبات بالغة في ظل الحكم فإنها على أي حال تستطيع أن تكافح ضد هذه الصعوبات وتهزمها أما حين يأتي، لا قدر الله هذا الغول الذي يحكمنا «بشرع الله» كما يراه فسوف تكون الصعوبات محنا ومآسي لأنهم ينظرون إلى الخلف بينما تتطلع حركة تحرير المرأة والعلمانية اليسارية خاصة إلى المستقبل، أي إلى تحرير المجتمع كله من قبضة الإمبريالية والصهيونية والاستغلال والرجعية دينية كانت أم مدنية)[(٢)].

هؤلاء هم العلمانيون الذين يسعى فريق من الإسلاميين لاسترضائهم ويعرضون أفكارهم باستحياء أمامهم ويحاولون التقرب والتقارب معهم، يشتمون الحركة الإسلامية ويقولون إنه وصف، بينما هم يقولون الكفر ويتطاولون على الشرع ونستحي من وصف ما يفعلون!! (وصف الحركة الإسلامية بأنها قوة رجعية معادية للمرأة وتدمر منجزاتها ليس «شتيمة» لكنه وصف علمي واقعي إذ أن هذه الحركة تهدر مبدأ المساواة وتضع المرأة في مرتبة أدنى بسبب جسدها)[(٣)].

يقولون عن الحجاب إنه رمز القهر ونستحي أن نقول عن تبرجهم أنه خلاعة ومجون وهبوط لمراتب الحيوان، (والحجاب في جانب أساسي منه رمز القهر وتغييب العقل والتحكم الذكوري باسم الدين)[(٤)].

---

(١) فريدة النقاش .. حدائق النساء في نقد الأصولية، ص ٨ ، ٩.

(٢) السابق ص ٢٢.

(٣)السابق ص ٢٧.

(٤) السابق ص ٢٧.

آن أوان مصارحة الإسلاميين لأنفسهم بالحقيقة فهؤلاء لن يرضوا عنا أبدا فلا داعي لاستجدائهم حتى نقربهم خطوة من شريعة ربنا، فليؤمن من يؤمن، وليكفر من يكفر. أما نحن فعلينا عرض قضيتنا بكل عزة وكما هي دون شعور خفي بالحاجة للدفاع والتبرير، فالذي خلق الإنسان بشقيه الذكر والأنثى هو الذي يعرف فطرة كل منهما وكيف يستطيع أن يتحقق ويسعد ويتوافق.

لا يوجد لدينا ما نخجل منه ولا يوجد عند المرأة المسلمة ما تخجل منه بل إنها تنظر بشمم من عليائها لهذه الترهات التي تصدر عن هؤلاء المرضى النفسيين وهي تحتوي طفلها وتسعد ببيتها وكأنها تقول لهم: موتوا بغيظكم فلن يفلح استهزاؤكم وسخريتكم من النيل مني ومن قناعاتي ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف: ٢١].

محاولات التقريب والإصلاح بين السنة والشيعة في القديم والحديث

عبد الله بابا جنع السنغالي(*) – خاص بالراصد

لا يخفى على أحد أهمية الوحدة والإصلاح بين المسلمين لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠]، فإن اتفاق كلمة المسلمين ووحدة صفهم وعدم تفرقهم في أصول الدين من المقاصد العظيمة التي حرصت الشريعة على إيجادها وتأكيدها، لذا كان العمل على تحقيق ذلك في أرض الواقع من المهام الجليلة التي يعمل لها المحبون لنصرة هذا الدين، ولظهوره على الدين كله، لكن مع شرف هذا المقصد فقد سلك بعض الناس لإصلاح الفرقة طريقا لا يوصل إلى المراد، وهو الاستجابة لمحاولة التوفيق بين الحق والباطل وغض الطرف عن المخالفات العقدية بزعم الإصلاح والتقريب بين المخالفين، ومن هذا المنطلق انطلقت دعوى الإصلاح والتقريب بين أهل السنة والشيعة وتوحيد صفهما، ومع كل محاولة من هذه المحاولات المتعددة يتبين خطأ هذا الطريق وعدم جدواه.

وإن كل دعوة إلى وحدة أو إصلاح أو تقريب إن لم تقم على هدى من كتاب الله وسنة نبيه فإنها وحدة زائفة وتقريب خادع وإفساد بدعوى الإصلاح، وكل اجتماع وائتلاف إن لم يكن اجتماعاً واعتصاماً بحبل الله فإن مآله الفشل. قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وتمت محاولات للإصلاح والتقريب بين أهل السنّة والشيعة في القديم والحديث، من بعض أهل السنة ومن بعض الشيعة، سواء كانوا جماعات أو أفراد، لكنها كلها - باعتراف أهلها- باءت بالفشل لاختلاف الأصول والمعتقدات.

الفرق بين مقصد أهل السنة والشيعة في التقريب:

وثبت من هذه المحاولات أن دافع أهل السنة للتقريب هو حرصهم على الوحدة الإسلامية، ونبذ الفرقة، وأن يكون سببا لأن يترك الشيعة السب والشتم على خيرة الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

أما مقصد الرافضة من التقريب فكان استعمال التقية والنفاق لنشر عقيدتهم في أوساط أهل السنة. لذلك كانت دور التقريب تفتح في المجتمعات السنية فقط، لجلب كتب الشيعة الدعائية إليها.

محاولات التقريب في القديم:

تضاربت أقوال الباحثين في تحديد أول من بادر لذلك بين الشخصيات التالية:

(*) كاتب سنغالي.

١- أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي[١]، قاله الشيخ محمد أبوزهرة[٢].

٢- الطبرسي[٣]، قال به الدكتور محمود بسيوني فوده[٤].

٣- لكن بالبحث والتدقيق يتبين لنا أن هذه المحاولات سبقت الطوسي، إذ ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٤٣٧هـ اجتمع عوام أهل السنة وعوام الشيعة على مواجهة اليهود في بغداد ونبذ كل الخصومات التي بينهم[٥]، ولكن هذا الإجتماع لم يدم أكثر من عامين حتى وقعت فتنة بينهم أشد من ذي قبل، قال ابن كثير: «ففي سنة ٤٣٩هـ وقعت فتنة بين الروافض والسنّة ببغداد قتل فيها خلق كثير»[٦].

ويظهر منهج كل من الطوسي والطبرسي في دعوى التقريب في كتابيهما: «تفسير التبيان» للطوسي و«مجمع البيان» للطبرسي، حيث اعتمدا في تفسير الآيات على مصادر الفريقين ومتجنبين بعض «مظاهر الغلو» المعهودة عند الروافض في الاعتقاد والتفسير.

وهذا المنهج وضعه الطوسي والطبرسي على سبيل التقية والنفاق لنشر نحلتهما في أوساط أهل السنة، وإلا فكل منهما لا يؤمن بجواز الاحتجاج بروايات أهل السنة، كما قال ابن طاووس والنوري الطبرسي وهما من كبار أئمة الشيعة: بأن تفسير التبيان للطوسي موضوع على أسلوب التقية.

ومن الدليل أنه وضع على التقية: أن الطوسي هذا يرفض الاحتجاج بروايات أهل السنّة، بل يرفض روايات زيد بن علي بن الحسين، قال الدكتور ناصر القفاري: «حقيقة محاولة الطوسي في التقريب هو نشر عقيدة الرافضة بين جمهور المسلمين. وفي البحار للمجلسي - وهو أحد مصادرهم الثمانية في الحديث - باب مستقل في النهي عن الأخذ بروايات السنّة إلا في حالة الاحتجاج عليهم وقد سار الطبرسي على منوال الطوسي ومسلكه»[٧].

محاولات التقريب في العصر الحديث

لما فشل الشيعة الأولون في نشر ملتهم باسم الإصلاح والتقريب بين أوساط المجتمعات السنية، أخذ النوبة أذيالهم المعاصرون من مؤسسات وأفراد عسى أن يحققوا بغيتهم.

أولاً - محاولات المؤسسات للتقريب

١- جماعة الأخوة الإسلامية.

وهي جماعة تأسست عام ١٩٣٧م، على يد رجل باطني إسماعيلي يدعى محمد حسن الأعظمي، قال عنه محمود الملاح: (محمد الأعظمي نسبة إلى «أعظم كره» في الهند لا «أعظمية بغداد»، وهو يبطن إسماعيليته، ويتصنع الدعوة للوحدة الإسلامية، وتورط في دعوته كثير من الفضلاء، بحيث أني أخجل من ذكر أسمائهم. فيا لضيعة الحقائق)[٨].

وكان مقرها في «قبة الغوري بمصر»[٩] ثم انتقلت بعد ذلك إلى كراتشي بباكستان عام

(١) شيخ الإمامية ورئيس الطائفة، أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي الطوسي، وهو مؤلف كتابين من كتبهم الأربعة (التي يعدونها كالكتب الستة عند أهل السنة) وهما: «تهذيب الأحكام»، و«الاستبصار»، توفي سنة ٤٦٠هـ. وكانت ولادته سنة ٣٨٥هـ. الطوسي: «الفهرست»: (ص ١٨٨ - ١٩٠)، «لؤلؤة البحرين»: (ص ٢٩٣ - ٣٠٤).

(٢) «الإمام الصادق»: ص ٤٦٤.

(٣) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي أبو علي، من علماء الإمامية، وهو عندهم ثقة فاضل يلقبونه بـ «أمين الدين»، من مؤلفاته: «مجمع البيان في تفسير القرآن»، توفي عام ٥٤٨هـ. انظر: «أمل الآمل»: (٢/٢١٦)، «الأعلام»: (٥/٣٥٢- ٣٥٣).

(٤) «الطبرسي مفسراً» ص ١٠ (رسالة دكتوراه لم تنشر).

(٥) البداية والنهاية ١٢/٥٤.

(٦) نفس المصدر ١٢/٥٧.

(٧) مسألة التقريب بين السنة والشيعة ٢/١٤٩.

(٨) النحلة الأحمدية، ص ٤.

(٩) سئل الشيخ عبد العزيز عيسى مدير مجلة «دار التقريب» في القاهرة عن القبة فقال: (لم نسمع بهذا في آبائنا الأولين).

١٩٤٨، وزعم أنها تضم طائفة من رجال الفكر والعلم في مصر، وكانوا يقولون بنبذ الانتماءات والاكتفاء بكلمة واحدة» نحن مسلمون مؤمنون» كما صرح به الأعظمي نفسه في كتابه[1] مع أنه يسعى لنشر عقيدته، فقد ساهم في نشر عدد من كتب الباطنية في العالم الإسلامي مثل «تأويل الدعائم» للقاضي النعمان قاضي قضاة المعز الفاطمي، و«افتتاح الدعوة» للمؤلف السابق وغيرهما[2]، وهذه الجماعة فاشلة ليس لها أثر يستحق الذكر.

٢- دار الإنصاف

وهي أيضا مؤسسة أقيمت لأجل التقريب بين السنة والشيعة عام ١٣٦٦هـ كما صرح به هاشم الدفتردار، ومحمد الزعبي اللذان يعتبران من الأعضاء المؤسسين[3].

ويقوم منهجهم على شبهة خطيرة ودعوى عريضة سعوا لنشرها، وهي زعمهم: أن الرافضة فئة اندرست وهم الذين يكرهون الصحابة، أما الشيعة فيحبون الشيخين ويترضون على الصحابة، وألفوا كتبا تروج لذلك من أشهرها كتاب: «الإسلام بين السنّة والشيعة» في جزأين.

ودعوى أن الرافضة غير الشيعة فهذا قول فنده الشيعة أنفسهم قديما وحديثا، وقد عقد شيخهم المجلسي باباً في تأكيد هذا في كتابه «البحار» بعنوان (باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها)[4]، كما ذكر شيخهم المعاصر طالب الرفاعي بأن تسمية الشيعة بالرافضة هو القول السليم والصحيح[5].

٣ - دار التقريب بين المذاهب الأربعة

وهي أكبر دور التقريب شهرة وتأثيرا، أسست عام ١٣٦٤هـ بالقاهرة وانضم إليها عدد لا بأس به من علماء مصر وعلماء الزيدية باليمن، بدعوة ومبادرة ظاهرة من شيخ رافضي من قم «بإيران» يدعى محمد تقي القمي، بعد ما فشل عدد من الرافضة في إقامتها كأبي عبد الله الزنجاني وعبد الكريم الزنجاني في أواخر سنة ١٣٥٣هـ[6].

وقد أنشئت الدار بسبب تعليمات وتوجيهات سرية من علماء الشيعة بقصد نشر نحلتهم وجعلها مذهبا خامسا يدرس في المراكز التعليمية السنية، إذ اعترف أحمد مغنية - أحد شيوخ الروافض- بأن سبب إنشاء دار التقريب كان عن سابق اتفاق من شيوخ الشيعة فقال: (ليس له - أي القمي - ولا لغيره من الناس أن يقوم بمثل هذا العمل من وراء المراجع ومن غير موافقتهم)[7].

ونجحت دار التقريب في إنجاز بعض الخطوات، مثل:

إقناع بعض علماء الأزهر حتى انضموا إليها باسم الوحدة الإسلامية، وإقناع الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بإدخال كتب الرافضة في مقررات الفقه وأصوله وفي التاريخ وفي مصطلح الحديث ورجاله، حتى قال بأن مذهب الشيعة لا يفترق عن مذهب أهل السنة، وأصدر فتوى في جواز التعبد بالمذهب الجعفري سنة ١٣٦٨هـ، ولكن حال دون تنفيذ ذلك ثلة واعية من علماء الأزهر، قاموا بجهود جبارة في كشف حقيقتهم.

كما أنشأت دار التقريب مجلة باسم رسالة الإسلام، لتمرير شبهاتهم من خلالها، ورأس تحريرها محمد محمد المدني (عميد كلية الشريعة بالأزهر) وقد صدر العدد الأول منها في ربيع الأول عام ١٣٦٨هـ، وتوقفت بصدور آخر عدد منها في ١٧ رمضان ١٣٩٢هـ، ولم تكن منتظمة الصدور في آخر عهدها ومجموع ما صدر من أعدادها ٦٠ عددا

(١) الحقائق الخفية، ص ١٦.
(٢) انظر: حقيقة باكستان، ص ٢٩.
(٣) انظر كتابهما «الإسلام بين السنّة والشيعة».
(٤) البحار، ج ٤٨، ص ٩٦.
(٥) انظر: تعليقاته على رسالة: «التشيع ظاهرة طبيعية»، ص ٧٨.
(٦) انظر: «نشأة التشيع وتطوره»، (ص ٤- ٦) لمحب الدين الخطيب.
(٧) انظر: «الخميني أقواله وأفعاله»، ص ٢٧ لأحمد مغنية.

جمعت في ١٦ مجلداً.

ومن علماء السنة الذين انخدعوا بهذه الدعوى: الشيخ محمد عرفة، عضو كبار العلماء، والشيخ طه محمد الساكت، والشيخ السبكي، ود. محمد البهي، صاحب كتاب «الفكر الإسلامي والمجتمعات المعاصرة»، ولكن الله بصرهم بالحقيقة وبمقاصد القوم وسوء طويتهم فانفضوا عن الدار.

قال محب الدين الخطيب: (انفض المسلمون جميعاً من حول دار التخريب التي كانت تسمى دار التقريب ومضى عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعي من استأجرها)[1].

ثانياً: محاولات فردية للتقريب

من دعاة التقريب من أهل السنة:

١ - محمد عبده مفتي الديار المصرية

وهو من أوائل الأفراد الذين دعوا إلى التقريب بين السنة والشيعة، لتأثره بشيخه الشيعي جمال الدين الأفغاني[2]، وقد شرح محمد عبده كتاب نهج البلاغة، المنسوب إلى علي بن أبي طالب، ولم نرَ في دعوته إلى التقريب أثرا وتأثيرا يذكر.

٢ - الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة «المنار»

كان من دعاة التقريب تبعاً لأستاذه محمد عبده، إلى أن عثر على كتاب «كشف الارتياب» لمحمد الأمين العاملي الذي ملأه مؤلفه بالسب والشتم للصحابة رضوان الله عليهم، ولما بدأ يحذر في مجلته المنار، قام أشهر علماء الرافضة عليه واتهموه بالتعصب والتفريق، فانفض عن دعوى التقريب، وألف كتابه «السنة والشيعة».

٣ – د. مصطفى السباعي

اتفق مع عبد الحسين شرف الدين الموسوي الشيعي على عقد مؤتمر إسلامي بين السنة والشيعة لتحقيق الغرض[3]، ثم فوجئ بأن الموسوي المتحمس للتقريب الذي يثني على الصحابة بحضرته تقية، قام بإصدار كتاب (أبي هريرة) ملأه بالسباب والشتائم، بل انتهى فيه إلى القول: «بأن أبا هريرة كان منافقاً كافراً وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر عنه بأنه من أهل النار». ثم يقول السباعي: (لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي)[4]. وقال أيضا: «ولست أحصر المثال بكتاب «أبي هريرة» المذكور، فهنالك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يحتمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير»[5].

من هنا اكتشف الشيخ رحمه الله حقيقة القوم، وأنه لا يمكن التقريب بين السنة والشيعة، ثم قال: «فلا يزال القوم مصرّين على ما في كتبهم، من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنّة إلى مذهب الشيعة»[6].

٤- موسى جار الله شيخ مشايخ روسيا

كان قد ألف كتابا يدعو فيه إلى التقريب وإلى

(١) انظر: مسألة التقريب لناصر القفاري ١٨٢/٢.

(٢) انظر: «دائرة المعارف الشيعية»: (١١/٦- ١٢). وأغابزرك الطهراني: «أعلام طبقات الشيعة» (٣١٥/١)، ومحسن الأمين: «جمال الدين الأفغاني». ومحمد محمد حسين: «الإسلام والحضارة الغربية».

(٣) أنظر «السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، ص ٨- ١١ للسباعي.

(٤) نفس المصدر، ص ٩.

(٥) نفس المصدر، ص١٠.

(٦) نفس المصدر، ص١١.

اعتبار فقه الشيعة مذهبا خامسا، ثم هاجر بسبب الاحتلال الروسي لبلاده فمر بإيران ومكث فيها بضعة أشهر يحضر حسينياتهم، ومآتمهم، وحلقاتهم العلمية في المساجد والبيوت، وجلساتهم الخاصة والعامة، وخطبهم، وحفلاتهم، فسمع من أفواه علمائهم ومراجعهم كل البلايا والمصائب التي قرأها في مصادرهم.

ولما اطلع على حقيقة التشيع تيقن أنه لا يمكن الإصلاح والتقريب بين الفريقين، كما لا يمكن التقريب بين الحق والباطل، وعرف أن التقريب لا يمكن إلا بدحض ونقد عقائد الشيعة الفاسدة أولا لذلك ألف كتابه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) قال فيه بأن: (نقد عقائد الشيعة هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها)[1]، وهذه ميزة للشيخ يختلف فيها عمّن سبقه من دعاة التقريب.

٥ - الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

كان يدعو إلى التقارب والتعايش تحت ظل الحريات واحترام الآخر، فكان يهدئ الصف السني بالسكوت والصبر على كثير من المحظورات التي تجاوزها الغلاة من الشيعة بغية الحفاظ على الوحدة والإصلاح، وكان مغترا بحزب الله ورئيسه حسن نصر الله.

ثم تبرأ من التقريب لما رفض قادة طهران الاستجابة لطلبه بأن يسمحوا لأهل السنة بإقامة مساجد لهم في طهران، وأن يكفوا عن شتم الصحابة ولعنهم وذكرهم بسوء في إعلامهم وكتبهم، وأن يهدموا روضة أبي لؤلؤة المجوسي قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويكفوا عن تبجيله وتقديسه حتى لا يطعنوا مشاعر أهل السنة!

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، ص١٧.

قال الشيخ في مهرجان تضامني مع الشعب السوري أقامه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين[2]:

«إنني ظللت لسنوات أدعو إلى تقريب بين المذاهب، وسافرت إلى إيران أيام الرئيس السابق محمد خاتمي، وشددت في هذا الإطار على أن هؤلاء المتعصبين (في إيران) والمتشددين يريدون أكل أهل السنة، هم ضحكوا علي وعلى كثير مثلي، وكانوا يقولون إنهم يريدون التقريب بين المذاهب».

وقال: «دافعت (قبل سنوات) عن حسن نصر الله الذي يسمي حزبه حزب الله، وهو حزب الطاغوت وحزب الشيطان، هؤلاء يدافعون عن بشار الأسد».

وقال: «وقفت ضد المشايخ الكبار في السعودية داعياً لنصرة حزب الله قبل سنوات مضت، لكن مشايخ السعودية كانوا أنضج مني وأبصر مني، لأنهم عرفوا هؤلاء على حقيقتهم (الإيرانيون وحزب الله) هم كذبة».

فتفجرت أفواه وكالات الأنباء الرافضية والقنوات الفضائية التابعة للشيعة في العالم وفي وقت واحد، وكأنهم على ميعاد! في تشويه صورة الشيخ القرضاوي ورميه بشتى ألوان الأكاذيب والافتراءات ووصفه بأرخص الصفات من النفاق والدجل والخنوع والعمالة للصهيونية والماسونية وإثارة الفتن!!!

هذا غيض من فيض ممن كان لهم نيات طيبة لوحدة الصف من أهل السنة، لكن القوم لا يصلحون ولا يتنازلون عن بغض الصحابة وسبهم إلا من رحم الله.

من دعاة الشيعة إلى التقريب

١ - محمد الخالصي

هو: محمد بن محمد مهدي الخالصي، من

(٢) كان ذلك في يوم ٢٠١٣/٦/٢ انظر: جريدة الحياة، كما نشرته دنيا الوطن يوم ٢٠١٣/٦/٦.

شيوخ الشيعة المعاصرين ودعاة الوحدة الإسلامية في العراق، وهو الشيخ الشيعي الوحيد الذي يقيم مع جماعته «صلاة الجمعة» في العراق، وخلفه أبناؤه في دعوته، وله من المؤلفات: «الجمعة»، «الإسلام سبيل السعادة والسلام»، «إحياء الشريعة في مذهب الشيعة»، «الإسلام فوق كل شيء»، «الاعتصام بحبل الله»[1].

كان يدندن كثيرا عن وحدة المسلمين وعن التقريب بين السنة والشيعة في العراق، وكان يصرح بأن زيادة «أشهد أن عليا ولي الله» من افتراءات الغلاة وليس من الدين في شيء»[2].

وكل ذلك كان يدعيه تقية لا إيمانا لأمرين اثنين:

الأول: أن الذين عاشوا معه في السر والعلن أثبتوا أنه غير صادق في دعواه، يتلوّن كيف يشاء، قال الشيخ محمود الملاح: «وللخالصي أكاذيب مفضوحة وآراء غريبة شاذة لا يتسع المجال لعرضها»[3].

الثاني: أنه يوجد في كتبه ما ينافي الدعوة إلى الوحدة وحب الإصلاح:

١- قال بأن (الأئمة الإثني عشر أركان الإيمان ولا يقبل الله تعالى الأعمال من العباد إلا بولايتهم)[4] وهذا تكفير لجميع المسلمين الذين لا يدخلون في أركان الإيمان: الإيمان بالأئمة الإثني عشر.

٢- أجاز السب على عائشة ومعاوية إلا في باب التقية[5].

٣- كان لعلامة الشام محمد بهجت البيطار مراسلات مع الخالصي في مسألة الصحابة انتهت بيأسه من استجابة الرجل[6].

٢ - عبد الحسين شرف الدين الموسوي

هو: عبد الحسين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم الملقب بشرف الدين، من كبار شيوخ الشيعة في عصره، ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٠هـ وتوفي في بيروت سنة ١٣٧٧هـ. من كتبه: «أبو هريرة»، «المراجعات»، «الفصول المهمة»[7].

في الوقت الذي كان يدعي الحماس إلى الإصلاح والتقريب بين السنّة والشيعة أصدر كتابا مليئا بالطعن في حق خيار الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، والذين هم موضع حب أهل السنّة، فهل هذا صنيع من يريد التقارب بصدق؟ وما قصة السباعي عنك ببعيد.

٣ - أحمد الكسروي

هو أحمد مير قاسم بن مير أَحمد الكسروي، ولد في تبريز عاصمة أَذربيجان أَحد أَقاليم إيران وتلقى تعليمه في إيران، وعمل أُستاذاً في جامعة طهران، كما تولى عدة مناصب قضائية، وقد تولى مرات رئاسة بعض المحاكم في المدن الإيرانية، وقد أَصبح أَحد أَربعة كبار مفتشي وزارة العدل ثم تولى منصب المدعي العام في طهران، قتله نواب صفوى زعيم جماعة فدائي إسلام سنة ١٣٢٤هـ لما كشف عن عوار الملالي وأثبت ضلالهم، لكونه ليبرالي الفكر.

كانت له محاولات لحسم الخلاف بين السنة والشيعة، لكن موقفه ومنهجه كان سليما ومتميزا جدا عن غيره، فإنه مع كونه شيعيا حاول بتجرده وحبه للخير والحق، أن يقارن عقائد الشيعة بالقرآن والسنة الصحيحة، وأخيرا

(١) انظر ترجمته في كتاب «حجة الخالصي» للملاح.
(٢) الإعتصام بحبل الله، ص١٨.
(٣) حجة الخالصي، ص٥ للملاح.
(٤) الاعتصام بحبل الله ، ص ٤٣.
(٥) «الإسلام سبيل السعادة والسلام»: ص ٩٠ للخالصي.
(٦) انظر: «الإسلام والصحابة الكرام بين السنّة والشيعة» للبيطار.
(٧) انظر: «طبقات أعلام الشيعة»: (١٠٨٠/٣) لأغابزرك الطهراني.

توصل إلى بطلان أصول العقائد الشيعية الإثنى عشرية وسطرها في كتاب سماه «التشيع والشيعة» أثبت فيه ما يلي:

١- أنَ خلاف الشيعة مع المسلمين إنما سنده التعصب والتحزب لا الحجة والبرهان[١].

٢- يرى أن الروافض انحرفوا بالتشيع إلى (الغلو في حب علي ومعاداة أبي بكر وعمر وعثمان بدعوى أن علياً كان أحق بالخلافة منهم فظلموه حيث سبقوه، وكان هذا الإفراط يشتد بمرور الزمن، وكان التشيع يتطور من جهاد سياسي إلى عقائد مفرطة)[٢].

٣- يرى أن الشيعة وضعوا أحاديث، وأوّلوا القرآن، وحرفوا الأخبار والوقائع[٣].

٤- ذكر بالأدلة القوية خرافة غيبة المهدي، ثم قال: (وكفى دليلاً على ضلال قوم انقيادهم لدعوى كهذه)[٤].

٥- عقد باباً كاملاً فند فيه عقيدتهم في الإمامة، وقولهم بتحريف القرآن، وزعمهم ارتداد الصحبة إلا ثلاثة، وغيرها، وأبطل دعاويهم الكاذبة كتفويض الأمور للأئمة، وأنهم يعلمون الغيب، وادعاء المعجزات لهم، ودعوى أن الشيعة من طينة خاصة، ثم ذكر فيه جرائم الرافضة عبر التاريخ منذ نشأتها على يد اليهودي ابن سبأ.

ولأجل ذلك ضربه الروافض بالرصاص، وطعنوه بخنجر داخل وزارة العدل الإيرانية فأدى إلى قتله.

اعترافات دعاة التقريب بفشل التقريب

هذه شهادات لعلماء آخرين من أهل السنة كانت لهم تجارب مع التقريب بين الفريقين:

١- أ.د. علي أحمد السالوس - أستاذ الفقه وأصوله:

«بدأت دراستي بالدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة بتوجيه من أستاذي الجليل الشيخ محمد المدني، على أن التشيع مذهب خامس بعد أربعة أهل السنة؛ غير أنني عندما بدأت البحث واطلعت على مراجعهم الأصلية وجدتُ الأمر يختلف تمامًا عمَّا سمعت.. فدراستي إذن بدأت بتوجيه من الشيخ المدني من أجل التقريب، ولكن الدراسة العلمية لها طابعها الذي لا يخضع للأهواء والرغبات».

٢- العلامة محب الدين الخطيب:

«إن استحالة التقريب بين طوائف المسلمين وبين فرق الشيعة هي بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول، كما اعترف به وأعلنه النصير الطوسي، وأقره عليه نعمة الله الموسوي الخونساري ويقره كل شيعي، وإذا كان هذا في زمن النصير الطوسي فهو في زمن باقر المجلسي الآن أشد وأفظع»[٥].

٣- ناصر الدين الهاشمي:

«ليس أدل على خداع دعوى التقريب من سوء حال أهل السنة في إيران؛ فلو صدقوا في دعواهم لقاربوا بين صفوف الشعب الإيراني سنة وشيعة»[٦].

٤- د. أحمد الأفغاني:

«لقد عشت مع شيعة العراق وإيران والسعودية ولبنان ثماني سنوات محاورًا ومناقشًا، وقد اتضح لي على وجه اليقين أنهم صورة طبق الأصل من كتبهم السوداء المنحرفة»[٧].

(١) أنظر التشيع والشيعة، ص ٣١.
(٢) التشيع والشيعة، ص ١٧.
(٣) نفس المصدر، ص ٢٥.
(٤) نفس المصدر، ص ٤٧.
(٥) انظر: الخطوط العريضة.
(٦) انظر: موقف أهل السنة في إيران.
(٧) انظر: سراب في إيران.

التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته
جمال البنا نموذجاً

إعداد: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

هذا الكتاب صدر عن دار الفاروق بعمان ودار ابن حزم ببيروت، عام ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، وهو من تأليف الدكتورة كفاح كامل أبو هنود، والكتاب يقع في ٤٧٥ صفحة، وهو في الأصل رسالة دكتوراه قدمت في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سنة ٢٠١١م.

والكتاب يعالج قضية معاصرة في غاية الأهمية من جهتين، فهو يعالج قضية المرأة، ويعالج قضية الحداثة، وهاتان القضيتان هما من إفرازات العلمانية ولا صلة لهما أصلا بالإسلام، ولكن بسبب الغزو العلماني الإعلامي والثقافي لأمتنا أصبحت تُفرض مثل هذه القضايا على أجندتنا.

بدأت الباحثة فصلها الأول بالحديث عن مفهوم الحداثة وتاريخه وملامحه الثقافية، وخلصت إلى أن الحداثة «تيار فكري ذو مفاهيم فلسفية يقوم على رفض الماضي تراثاً، وقيماً، ومبادئ، ليبني مرجعية جديدة ترتكز على العقل وتقديس الإنسان في عملية التحديث التي ينتهجها، وذلك في تمحور شديد حول الذاتية الفردية والقيم النفعية» .

ثم تناولت في ذات الفصل معالم منهج الحداثيين في تفسير القرآن، وقد بينت الباحثة أن اهتمام الحداثيين بالقرآن الكريم ليس نابعاً من الإيمان به وتقديسه كما لدى المؤمنين، بل مرجع هذا الاهتمام هو أن القرآن الكريم هو من أهم العقبات في وجه المشروع الحداثي لما له من مركزية في وعي الأمة، ولذلك أعملوا معاولهم لهدمه وتشويهه، على غرار تجربة الغرب للخروج من عصور الانحطاط.

(*) كاتب أردني.

واستعرضت د. أبو هنود الآليات التي استعملوها للتخلص من سلطة النص القرآني وفندتها بعبارة واضحة وبسيطة، وأن الغاية من وراء ذلك كله هو جعل آلية فهم النص القرآني من خارجه وليس من داخله، مما يترتب عليه نسف الأصول الاعتقادية الكلية للإسلام، وإلغاء الأحكام الشرعية، والتخلص من التراث الإسلامي، وتشويه التاريخ الإسلامي.

وختمت الفصل الأول باستعراض لشخصية جمال البنا، محور الدراسة، ومكانة جمال البنا لا تأتي من القيمة المعرفية لإنتاجه الشرعي بقدر ما هي ناتجة من سوء هذا الإنتاج ولكن الأهم من هذا أنه صدر من الشقيق الأصغر لحسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وهذا هو سبب الاحتفاء الإعلامي العلماني به، رغم أن جمال البنا لم يقبل فكر أخيه الكبير وكان يصرح بذلك في حياته.

استطاعت الباحثة تكوين صورة جيدة عن اتساع ثقافة جمال البنا وأنه بنى نفسه بنفسه من خلال المطالعة فهو يقرأ كتابا عربيا كل يوم، وكتابا غربيا كل يومين أو ثلاثة عبر سنوات عمره الـ ٩٠! لكن غالب هذه المطالعة للكتابات الغربية أما رصيد الكتب الشرعية فقليل فيها! فنشاطه العام كان في المجال النقابي العمالي بسبب مطالعاته العميقة والكثيرة المبكرة للتجربة الاشتراكية، ولذلك نجح في تقديم جديد ومفيد في ذلك الباب، أما حين ولج القضايا الشرعية فظهر نقصه وعجزه وانحرافه.

كانت أولى كتابات جمال البنا الإسلامية بعد ٢٥ عاما من العمل والتأليف في الفكر النقابي والاشتراكي والليبرالي، دون أي مقدمات، ففي عام ١٩٧٢م أصدر كتابه (روح الإسلام)، وبعد ١٠ سنوات أصدر كتاب (الأصلان العظيمان)، ويطرح البعض مبررات هذا التحول بظهور جيل أكاديمي في قطاع العمل النقابي سحب البساط من تحت قدم جمال البنا، وانتشار الفكر الإسلامي وتوسعه في زمن السادات، واستخدامه من الأعداء لضرب المشروع الإسلامي بسبب نسبه العريق في الإخوانية!

في الفصل الثاني تناولت الباحثة منهج جمال البنا في تفسير آيات المرأة، وقد تناولت في البداية النظرة القرآنية للمرأة في النسق الإنساني والاجتماعي، ودورها الوظيفي كما بينه القرآن.

ثم عرضت للمقدمات الفكرية التي يستند إليها البنا في تفسيره ونقضتها، وهي: القول بأثر العوامل التاريخية في تشكيل المفاهيم القرآنية، والدعوة إلى تجاوز كتب التفسير وكتب علوم القرآن، ورفض المنهج اللغوي في التفسير، وواضح أن هذه المقدمات الباطلة ستؤدي إلى نتائج كارثية.

ثم انتقلت الباحثة لعرض ومناقشة أسس البنا في التفسير وهي: أساس اعتماد الفهم الموضوعي وعدم التفسير آية آية، وأساس العقل فيقول البنا: «بل إننا أمام النص القرآني نفسه يجب أن نفكر ولا يجوز أن نخرّ أمامه صماً وعمياناً، فقد تكون العلة التي من أجلها أصدر القرآن حكما قد انتفت، وبالتالي لم يعد من مبرر لإعمالها»!!

وأساس منظومة القيم الحاكمة التي يمكن أن يستنبط منها حكم كقيمة العدل بخلاف قيمة التقوى، وبناء على ذلك يرفض البنا الطلاق إلا أن يكون علانية مثل العقد علانية!

والأساس الرابع هو العرف، ولكنه يجعل العرف حاكماً على النص القرآني وليس مكملاً له! والأساس الخامس توظيف المعنى الإعجازي، وأخيراً السنة ويقصد بها تطبيقات النبي ﷺ التي شاهدها الصحابة فقط، أما السنة القولية والتقريرية فهي مردودة عند البنا!

وعلى هذا تقوم رؤية البنا على أن الفقهاء وعلماء التفسير يتحملون بشكل خاص مسؤولية واقع المرأة المسلمة المعاصرة، وأن الحل هو استبعاد آراء الفقهاء والمفسرين والعودة المباشرة للقرآن، وأن أحكام المرأة هي من قسم الشريعة في

القرآن القابل للنمو والتطور بخلاف آيات العقيدة الثابتة – والعقيدة عنده تقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر فقط – !

وبعد هذا التأصيل لمنهج البنا المنحرف تبدأ الباحثة في إيراد الأمثلة التطبيقية للفهم الحداثي للبنا على آيات المرأة، وتناقشها وهي:

١ – آيات اللباس والزينة: بحسبه فلا دليل على غطاء الرأس، ويجوز إظهار الزينة، والتبرج هو الابتذال في اللباس، ولذلك المطلوب هو الحشمة وليس الحجاب!

٢- آيات الزواج: يعتبر البنا الزواج اختراعا بشريا وجاء القرآن بتأييده، لكنه ينتقد الضوابط الشرعية لعلاقة الرجل والمرأة ويعتبرها سببا رئيسيا لحالات الفشل الزوجية! ويعتقد أن اشتراط الولي للمرأة في الزواج إهانة وتغييب لها عن المجتمع، أما حق القوامة للرجل على المرأة فيرى أنه كان مرتبطا بالإنفاق المالي، والآن وقد أصبحت المرأة منتجة ومستقلة مالياً فلا مكان للقوامة في عالمنا، أما الطلاق فلا يجوز عنده أن يبقى بيد الرجل بل يكون علانية وتحضره المرأة والشهود.

٣- آيات تعدد الزوجات: يعتبرها مرحلة مؤقتة لتقييد التعدد المفتوح، أما الآن فقد وصلنا لمرحلة منع التعدد والاقتصار على زوجة واحدة فحسب.

٤- آيات المساواة: يرى البنا أن آيات المساواة جاءت بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في خطوة تحررية رائدة، لكن منذ عهد الخلفاء تم النكوص عن ذلك على يد الفقهاء والنظرة السلفية.

٥- العلاقة بين الجنسين قبل الزواج: يروج البنا أن الممارسات التي تحدث بين الشباب من الجنسين قبل الزواج – ما دون الزنا- هو من قبيل اللمم الذي تكفره الحسنات.

٦- زواج المتعة: يجيز البنا زواج المتعة بحجة ظروف العصر الصعبة على الشباب.

٧- ميراث المرأة: يعتبر تقسيم الميراث الثابت في القرآن لا يحقق العدل اليوم بعد أن دخلت المرأة سوق العمل، ولم يعد الإنفاق مسؤولية الرجل، ولذلك لا بد من تعديل النص القرآني ليحقق العدل!

٨- إمامة المرأة للرجال: ويستند في ذلك على أن معيار الإمامة هو الكفاءة والتقوى والعلم بالقرآن وليس الجنس!

أما الفصل الثالث من الكتاب فخصصته الباحثة للتقويم المنهجي والأخلاقي لمنهج البنا، وأثبتت ابتعاد البنا عن المنهج العلمي الصحيح لتفسير القرآن، وبدلاً من ذلك جعل الواقع هو الذي يحكم على القرآن والشرع، ولم يكن البنا أمينا في نقل كلام العلماء والوقائع، فهو يطلق تعميمات دون استقراء شامل، ويحكم الهوى في اختياراته.

ولذلك يقع البنا في الاضطراب والتناقض، فمثلا هو لا يرى شعر المرأة من العورة ويجوز كشفه، ثم يعود ويوجب عليها تغطيته في إمامتها للرجال في الصلاة!

والحقيقة أن غالب القضايا التي يثيرها البنا هو مقلد فيها للعلمانيين الذين سبقوه كقاسم أمين ونصر أبو زيد!

أما تقييم رؤية البنا من الناحية الأخلاقية فالباحثة تنبه إلى أن الغرض الحداثي من كل هذا التشويه لآيات المرأة هو ترويج الرؤية العلمانية الغربية المنحلة للمرأة لتكون الرؤية السائدة والقائمة في الواقع، هذه الرؤية التي تقوم على المتعة، والمتعة فقط، ولذلك يتم استغلالها في الأنشطة التجارية بطريقة جنسية بذيئة.

وفي الختام: يمتاز الكتاب بالعمق الفكري والإلمام بأطراف الموضوع مع سهولة العبارة وسلاسة الترتيب للمباحث والفصول، ويعد إضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية والعربية.

يعمل لمصلحة أمريكا أم إيران؟

قالوا: إن «أميركا وإيران تخوضان حربا بالوكالة في سوريا محصلتها صفر في الوقت الراهن»، «إذن، وفي حال، سقط الأسد فإن الجانبين، الإيراني والأميركي، لديهما عدو جذري مشترك وهو الجهاديون السنة»!

المحلل الأميركي من أصل إيراني
بمؤسسة كارنيغي
للسلام الدولي كريم سجادنبور
الشرق الأوسط ٢٠١٣/٩/٤

البعض يراهم قيادات وطنية!

قالوا: إن رفع صور قيادات أجنبية في شوارع بغداد ومنها صور السيد خميني والسيد خامنئي تثير حفيظة المواطن العراقي وتمس سيادة العراق.

النائب حيدر الملا
الشرق الأوسط – ٢٠١٣/٨/٢٧

سعد الدين إبراهيم طائفياً!

قالوا: سيقوم عدد من الشيعة المصريين والإيرانيين بحفلات متعة جماعية في المقطّم، تحت مسمى حفل تأبيني لذكرى مقتل حسن شحاته الشيعي ورفاقه.

وأكدت مصادر بأن هذه الحفلة ستكون غداً الثلاثاء بمركز ابن خلدون بالمقطم بـ ١٧ ش ١٢ بالمقطم، وتحت رعاية جبهة أنصار أهل البيت وتيار الشباب المصري الإسلامي ومركز الفاطمية للدراسات وشبكة الأشتر الرسالية.

مدونة مصر الثورة ٢٠١٣/٨/١٢

صدقك وهو كذوب!

قالوا: بدأت مصالح الأمن الوطني تحقيقا بعد عثورها في وقت متأخر من الليل على منشورات مسيئة للإسلام والمسلمين تم توزيعها في شوارع مدينة تلمسان تحمل عنوان «يهودي وأفتخر»، حيث تحفظت على عدد منها وتسعى للوقوف على مصدرها، مشيرة إلى أن هذه العملية تبدو منظمة، وتخاطب جموع العرب والمسلمين بعبارات تهكمية جارحة.

هذه المنشورات تسخر من المسلمين وتصفهم بالغباء، تضمنت تهليلا بنجاح المؤامرة اليهودية ضد العرب والمسلمين إذ كتب فيها «زال مجدكم يا عرب ويا مسلمون، أرأيتم ماذا فعلنا بكم بدهاء.. لقد شجعنا الانحلال الخلقي ونزعنا عن بناتكم الحجاب وغطينا به قرآنكم.. واليوم لا يوجد شاب قادر على حمل المصحف».

وجاء في المنشورات: «لقد أصبحتم رهن إشارتنا نحرككم كيفما نشاء، ومتى نشاء، صدرنا إليكم ملابسنا التي تفضح عوراتكم.. حاربنا اللغة العربية فهجرها الناس، وأصبحوا يفتخرون

بالحديث باللغات الأجنبية.. أشعلنا باستمرار الفتنة بين طوائف المسلمين فقد فجرنا مسجدا للشيعة وقلنا فجره السنة، ودمرنا مسجدا للسنة وقلنا دمره الشيعة».

ويختتم أصحاب هذه المنشورات كتاباتهم بقول: «أنا يهودي فى إطار أمريكي وأفتخر».

جريدة اليوم السابع ٢٠١٣/٩/٥

هل المسلمون مؤمنون عنك؟

قالوا: بات المسيحيون يرون ويسمعون ما لم يعتادوا رؤيته وسماعه في السابق من نتائج تصاعد نمو حركات التطرف الديني، وازدياد الحذر عند مسيحيي الأردن تجاه العيش المشترك المعهود، وصل في بعض الأحيان إلى تكفير غير المسلمين وتغريبهم عن الوطن، والحث في شكل علني على عدم الاشتراك في أفراحهم وأحزانهم، لا أقول إن هناك اضطهادا يمارَس على المسيحيين في الأردن، لكن هناك حتما تغيير في النظر إليهم على مستوى الشارع، ونوع من التمييز على أساس ديني في بعض مرافق المجتمع.

المطران مارون لحام – مؤتمر «التحديات التي تواجه المسيحيين العرب» بالأردن

موقع عمون ٢٠١٣/٩/٤

ترويج الشذوذ بالصحف بعد الروايات والأفلام

قالوا: استنكرت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان قيام السلطات العُمانية بإحالة «صالح الزكواني» رئيس تحرير جريدة «The week» العُمانية والمحرر بالجريدة نفسها «راج شدهوري» للادعاء العام على خلفية نشر الصحيفة لمقال حول المثلية الجنسية في عُمان.

وكانت الصحيفة التي تصدر باللغة الإنجليزية قد نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ أغسطس الماضي مقالاً يسرد قصة عن علاقة بين مثليين جنسياً وهو ما أثار حفيظة العديد من المسئولين في عُمان والذين اعتبروه إهانة لدولة عمُان التي وصفوها بالخالية من «الشذوذ الجنسي» على حد تعبيرهم، وطالبوا بسحب تراخيص الصحيفة وإحالة رئيس تحريرها للتحقيق.

وكالة أنباء ona ٢٠١٣/٩/٥

بمكرهم يغلبون تقصيرنا!

قالوا: ٦٥٠ رسالة، أرسلها الأسد ونظامه إلى أعضاء ومسؤولي مجلس العموم البريطاني .. وجماعتنا .. على هاد خاين وهاد عميل وهاد حرامي!؟ بأسنا بيننا شديد.

تغريدة من المذيع موسى العمر



كيف يتلاعب الأسد بالمعطيات الديموغرافية في سوريا؟... تجنيس الشيعة

علي حسين باكير- مجلة المجلة ٢٠١٣/٨/٢

أثار قيام نظام بشّار الأسد بمنح الجنسيّة السورية لأعداد كبيرة من الشيعة مؤخرًا، الكثير من المخاوف والهواجس المرتبطة بسيناريوهات المرحلة المقبلة، خاصة أنّ ذلك جاء مترافقًا مع قيام النظام بعملية إبادة وتهجير ممنهجة لبعض المناطق، تبعها إحراقه للعديد من مراكز تسجيل الملكيات، ومباني التسجيل العقاري في مناطق مختلفة كما حصل مؤخرًا في حمص.

يبلغ عدد الشيعة في سوريا وفقاً للأرقام الرسميّة حوالي ٠,٤٪ من إجمالي السكّان، فيما ترفع بعض المواقع الإلكترونيّة التابعة لهم نسبتهم إلى ٢٪، علماً أنّه غالبًا ما يتم دمجهم مع العلويين حينما يتم الإشارة إلى نسبة العلويين من إجمالي الشعب السوري، والتي تصل مع كل الفئات الأخرى من التشيّع إلى حوالي ١٢٪ من السكّان. ناهيك عن المهاجرين من الإيرانيين واللبنانيين، والعراقيين أيضًا الذين يتجاوز عددهم وحدهم المليون، أي أكثر من ٥٪ من السكان.

دراسات سابقة عن التشيّع في سوريا

ولا يُعدّ موضوع التشيّع والتجنيس جديدًا على المشهد السوري، حيث تم تداوله سابقًا على مستويات متعددة داخل وخارج سوريا بشكل سري وعلني، وعلى فترات مختلفة من مرحلة الرئيس السابق حافظ الأسد، كما في عهد الرئيس بشار الأسد، على أنّ الجزء الأكبر منه كان خلال الفترة الثانية أي منذ تولي بشار الأسد سدّة الرئاسة خلفًا لأبيه في العام ٢٠٠٠.

خلال تلك الفترة تمّ إنجاز العديد من الدراسات والأبحاث التي ترصد وتناقش هذا الموضوع، بعضها غلب عليه الطابع الديني، الا أنّ البعض الآخر تميّز بالرصانة والبُعد العلمي، لعلّ أبرزهم:

١) في العام ٢٠٠٦، نُشرت دراسة تحت عنوان (عملية التشيع في سوريا ١٩٨٥- ٢٠٠٦، دراسة اجتماعية- إحصائية)، وجاءت الدراسة في ٣٢ صفحة، وقدم لها الكاتب والصحفي السوري نزار نيوف. وقد قام بهذه الدراسة باحثون ميدانيون في مجال «علم الاجتماع» و«علم الاجتماع السياسي» و«الإحصاء»، ويشتركون في أنهم جميعًا علمانيون ونشطاء في حركات «المجتمع المدني» السورية. وقد أُجريت الدراسة على مدى ستة أشهر، وهي تتناول «التشيع» في سوريا خلال عشرين عامًا، مع ملحق إضافي تناول النصف الأول من العام ٢٠٠٦.

٢) وفي يونيو من العام ٢٠٠٩، نُشِرت دراسة أصغر من ٢٦ صفحة، وحملت عنوان «التحوّل الشيعي في سوريا» وذلك كفصل من فصول إصدار «اتّجاهات حاليّة في الأيديولوجيا الإسلامية» في المجلد الثامن الصادر عن (مركز الإسلام والديمقراطيّة ومستقبل العالم الإسلامي) في معهد

هادسون. وقد أعدّ هذه الدراسة البروفيسور خالد سنداوي، وهو متخصص في الدراسات الشيعيّة، وله عدّة مؤلفات وأبحاث قيّمة وعلميّة منشورة في مجلّات محكّمة في هذا المجال. وتشكّل دراسته هذه جزءًا من كتاب له سينشر عام ٢٠١٤.

٣) وفي العام ٢٠٠٩، نُشرت دراسة أخرى بدت رصينة وعلى قدر عالٍ من الاحترافيّة والتوثيق والتدقيق تحت عنوان (البعث الشيعي في سوريا ١٩١٩- ٢٠٠٧) قام بها «المعهد الدولي للدراسات السوريّة» والذي عرّف عن نفسه بأنّه معهد بحثي مستقل وغير ربحي ومتخصص في الدراسات السوريّة. وقد رعت هذه الدراسة التي تقع في ٢٠٨ صفحات «حركة العدالة والبناء» حيث تم التنويه إلى ذلك في الدراسة المنشورة.

التشيع كمشروع سياسي في عهد بشّار الأسد

كل هذه الدراسات على اختلاف توجهاتها وآلياتها البحثية تجمع على حقيقة أنّ موضوع التشيّع بدأ في عهد حافظ الأسد الذي كان واعيًا للأمر، ويستخدمه لأغراض خاصّة فيتحكّم به سماحًا ومنعًا متى ما شاء، وتصاعد بشكل علني غير مسبوق في التاريخ السوري في عهد ابنه بشّار الأسد الذي فقد فتح الباب على مصراعيه ومن دون أيّة شروط أو قيود للنفوذ الإيراني لعملية التشيع داخل سوريا، بل وحتى بتسهيل غير محدود من نظامه وأجهزته الأمنيّة والاستخباراتيّة.

كل هذه الدراسات على اختلاف توجهاتها وآلياتها البحثية تجمع على حقيقة أنّ موضوع التشيّع بدأ في عهد حافظ الأسد الذي كان واعيًا للأمر، ويستخدمه لأغراض خاصّة فيتحكّم به سماحًا ومنعًا متى ما شاء، وتصاعد بشكل علني غير مسبوق في التاريخ السوري في عهد ابنه بشّار الأسد

فبعد وفاة والده عام ٢٠٠٠، وعندما أصبح بشار الأسد رئيسًا، بدأ التوازن الذي وضعه حافظ الأسد بخصوص النشاط الإيراني في الانهيار، فقد كان وصول بشّار عاملاً حاسماً في رفع أيّة قيود على النشاط الشيعي الإيراني في سوريا بالشكل الذي يحلو لهم، وقد بدا واضحًا أنّ التشيع تحول إلى مشروع سياسي.

وتشير التقارير إلى أنّه - وعلى عكس والده- لم يتقرّب بشّار من المشايخ السنّة، وإنما من نظرائهم الشيعة خاصة خارج سوريا. وقد كان بشّار متأثّرًا بشكل كبير أيضًا بشخصيّة حسن نصر الله، حيث كان لهذه العوامل أثرها في تسهيل النشاط الشيعي في سوريا، بالإضافة إلى وجود قرار سياسي وأمني بدعم عمليات التشيّع، لدرجة أنّ رجل الدين البارز «البوطي» والمقرّب من النظام (قُتل مؤخرًا) انتقد في نيسان/أبريل ٢٠٠٦ بشكل علني التمدد الشيعي في البلاد واحتلالهم حتى للمنابر والمقامات السنيّة.

ويضيف آخرون إلى هذه الأسباب، عوامل أخرى، منها:

١) إنشاء عدد كبير جدًا من المزارات الشيعيّة في أنحاء مختلفة من سوريا. ويتم هذا الأمر بداية من خلال السيطرة على أحد القبور (او حتى اختلاقها كما جرى في داريا) ومن ثمّ نسبته إلى أحد أفراد أهل البيت حتى يتم العمل على إنشاء بناء عليه، ثم يتم تطويره وتوسيعه حتى يصبح مزارًا يأتيه الإيرانيون والشيعة حجّاجًا بالآلاف، فيقيم بعضهم ويستقر هناك، ثمّ ينشأ «مجتمع المقابر» فيتم شراء البيوت والأراضي المحيطة بالقبر للتوسّع، فتضاف حسينية إلى المكان، وربما مجمّع كبير، وكذلك بناء فنادق وأسواق وأماكن سكن محيطة بالقبر والحسينية، بحيث تكون مستعمرة إيرانية تحت غطاء الدعوة الدينية للتشيع لأهل البيت.

٢) الإغراءات الماليّة والاقتصاديّة والتعليمية للفقراء، وقوّة الإعلام الشيعي، وفتح المجال له بشكل رسمي. إذ لم يفهم المواطنون السوريون لماذا يقوم التلفزيون السوري الرسمي للبلاد بتقديم برنامج لمدة ساعة للمبشر الشيعي العراقي عبد

الحميد المهاجر؟ ولماذا تَبثُّ برنامجًا تبشيريًا للعراقي عبد الزهراء، ولماذا تقوم محطة راديو «إف إم»، ببث مواد فكرية وسياسية مماثلة لمواد حزب الله في لبنان، و«المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» في العراق!

٣) نفوذ حزب الله السياسي والعسكري خاصّة بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦، ونشوء الحلف الثلاثي (حزب الله – الأسد – النظام الإيراني) الذي دفع بعمليات التشيّع والنفوذ الإيراني ليصل إلى أوجه في سوريا.

انكشاف مشروع الأسد التشيّعي سياسيًا واجتماعيًا

ما بين العام ٢٠٠١ و٢٠٠٦، أنشئ في منطقة السيدة زينب وحدها أكثر من ١٢ حوزة شيعية، وثلاثة كليات للتعليم الديني الشيعي، أي انّه خلال عدّة سنوات فقط تمّ إنشاء ثلاثة أضعاف ما تمّ بناؤه في ربع قرن، كما حصلت أول جامعة إسلامية شيعية على ترخيص أمني للعمل في سوريا في عام ٢٠٠٣.

ولوحظ أنّ الشيعة (حتى من غير المواطنين السوريين) لا يجدون أي صعوبة في فتح كليّات لهم في سوريا. ففي العام ٢٠٠٦ على سبيل المثال تم افتتاح كلية دينية شيعية في بلدة الطبقة رغم أنّه وفقًا للبروفيسور خالد سنداوي لا توجد في سوريا بأكملها سوى كليّتين دينيتين سنّيتين، واحدة في دمشق والثانية في حلب حصلت على الموافقة في عام ٢٠٠٧ بعد عقود من الانتظار!

وتشير المعلومات إلى أنّ هناك ما يزيد اليوم عن ٥٠٠ حسينية قيد الإنشاء في سوريا. وقد أدّت هذه المعطيات مجتمعة والمتعلّقة بأقليّة من هذا النوع إلى طرح السؤال «لماذا»؟! ونجم عن ذلك موجة كبيرة من التململ والتذمر والاحتجاج غير المسبوق في تاريخ سوريا.

ففي تموز/ يوليو من العام ٢٠٠٦، أصدر أكثر من ٢٠٠ من كبار علماء الشام وسوريا بيانًا موجّهًا بشكل مباشر وخاص إلى رئيس الجمهورية بشّار الأسد، وهو البيان الأوّل من نوعه منذ أكثر من ٣٥ عامًا، لم يخفوا فيه غضبهم وحنقهم على المد الشيعي الحاصل في البلاد مع إشارات واضحة إلى أنّه يتم برعاية رسمية نظرًا وبخلاف كل القوانين المعمول بها في البلاد بما في ذلك القوانين والقرارات الحكوميّة والرسميّة والتي تسري حتى على الشأن السنيّ، وكان من بين الموقّعين على البيان مدير التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف، الأمر الذي أدى الى طرده من منصبه على الفور.

وقد شهد ذلك العام أيضًا انتقادات من قبل أطراف سورية متعددة للنفوذ الإيراني المتزايد، والذي يتضمن عمليات تبشير شيعي وتغيير ديمغرافي واجتماعي في أنحاء مختلفة من سوريا، بمن فيهم نائب الرئيس السوري المنشق عبد الحليم خدام، جبهة الخلاص الوطني المعارضة للنظام السوري، والتي أصدرت بيانات انتقدت هذا الجانب.

من أهداف النظام في تجنيس فئات من الشيعة هو تهيئة الأرضية الشرعيّة والقانونية للميليشيات المقاتلة إلى جانب النظام السوري في حربه التي يشنها على المواطنين، وبالتالي فإنه يرفع من فعالية الاستفادة القصوى من هذه الميليشيات ليس في هذه الفترة فقط وإنما في المستقبل.

وكذلك فعلت شخصيات حقوقية كان أبرزها رئيس الجمعيّة السوريّة لحقوق الإنسان آنذاك المعارض السوري عضو الائتلاف الوطني حاليًا هيثم المالح. بل وقامت شخصيّات سوريّة رسميّة بالاعتراف بهذا الواقع بشكل سريّ عاكسة تذمّر المجتمع السوري.

إذ نقلت برقيّة دبلوماسيّة للسفارة الأمريكية في دمشق مصنّفة على أنّها «سري» بتاريخ ٨- ٢- ٢٠٠٧ تحت عنوان «التشيع في سوريا، وانتخابات النظام» تفاصيل لقاء تم بين الدكتور سمير التقي مستشار وزير الخارجية السوري وليد المعلم آنذك، وبين القائم بالأعمال في سفارة الولايات المتحدة في دمشق، مايكل كوربن.

وقد تحدث التقي بتفصيل عن القلق المتنامي في سوريا نتيجة الجهود الإيرانية في عملية تشيع البلاد في ظل مخاوف من تزايد الاستياء السني إزاء ذلك. وبحسب التقي فإنّ معظم هذا الجهد يتركز في شمال شرق البلاد، وقد ضرب على سبيل المثال الأنشطة الإيرانية المتواصلة في محافظة الرقة، في شمال شرق سوريا، وهي من المحافظات الصغيرة نسبيًا، حيث قامت إيران بتمويل بناء مجمع يضم مسجد ضخم، وفندق كبير، ومطار.

كما نُقل عن التقي إشارته الى أنّ النظام السوري له تاريخ في تنصيب أشخاص من الأقلية الشيعية في سوريا في مناصب حساسة، بالرغم من أن الشيعة في سوريا لا يتعدون ١٪ من السكان، وتقديمهم للعامّة على أنّهم من السنّة كي يتجنب حقيقة تعيين سنّة في هذه المناصب.

تجنيس الشيعة قبل وبعد الثورة السورية

تشير التقارير المتوافرة الى أنّ نظام بشّار الأسد قام منذ توليه السلطة في منح الجنسيّة السوريّة لآلاف الشيعية (البعض يقصر الرقم على ٢٠ ألفًا والبعض يرفعه إلى ٧٤٠ ألفًا حتى اليوم) خاصة من الإيرانيين والعراقيين. وقد سهّل من ذلك، وجود قراري سياسي ، وازدياد نفوذ إيران في داخل سوريا، عبر:

• اعتماد الأسد على قوّة إيرانيّة خاصّة لحمايته النظام، وتعمل جنبًا إلى جنب مع وحدات ماهر الأسد.

• الدور الذي تحتله السفارة الإيرانيّة في عملية التأثير على القرار السياسي في سوريا بل وصناعة القرار الأمني إلى حد كبير، والصلاحيات الكبيرة التي تحظى بها السفارة والقائمون عليها كما بالنسبة إلى كل من يرتبط بها وبشكل يتجاوز السلطات الرسمية السورية نفسها.

• زيادة نسبة تدفّق الإيرانيين إلى سوريا بنسبة فلكيّة خاصّة الذين يأتون لأغراض دينيّة، فقد ارتفع عدد الزوار الإيرانيين لمقام السيدة زينب لوحده في دمشق من ٢٧,٠٠٠ في العام ١٩٧٨، إلى ٢٩٠,٠٠٠ في عام ٢٠٠٣.

• ازدياد الشيعة المستقرين في سوريا لاسيما من العراقيين والإيرانيين واللبنانيين، خاصّة أنّ تقارير مفوّضية الأمم المتّحدة العليا للاجئين (UNHCR) أشارت إلى أنّ عدد العراقيين في سوريا زاد عام ٢٠٠٧ عن ١,٢ مليون (١٨ مليون عدد السكان آنذاك)، علمًا أنّ تقريرًا كان قد صدر عن المفوّضية أواخر عام ٢٠٠٥ أشار إلى أنّ نسبة الشيعة من اللاجئين العراقيين في سوريا بلغ في ذلك العام ٥٧٪. (في السنوات اللاحقة تغيرت النسبة تباعاً).

ومع اندلاع الثورة السورية عام ٢٠١١، وتصاعد الحملة العسكرية التي يشنها النظام السوري على المدن والقرى والبلدات السورية وعلى القاطنين فيها من المدنيين، تحوّلت الكثير من هذه المناطق إلى مدن أشباح خالية من سكّانها، وقد أثار قيام النظام بمنح الجنسيّة السورية لأعداد كبيرة من الشيعة مؤخرًا الكثير من المخاوف والهواجس المرتبطة بسيناريوهات المرحلة المقبلة، خاصة أنّ ذلك جاء مترافقًا مع قيامه بالتركيز على عملية إبادة وتهجير ممنهجة لبعض المناطق، وأتبعها بإحراق العديد من مراكز تسجيل الملكيات ومباني التسجيل العقاري كما حصل مؤخرًا في حمص.

وقد أصدر ناشطون سوريون من السويداء بيانًا في ١٥- ٧- ٢٠١٣ رفضوا فيه مشروع تجنيس ما يقارب ٤٠ ألفًا من التابعية اللبنانية والعراقية خصوصًا -غالبيتهم من عناصر «حزب الله» اللبناني والعراقي المقاتلة إلى جانب النظام وآخرين مدنيين- ومنحهم نسب عائلات من عائلات الجبل المعروفة والأصلية من سكان المحافظة ومحيطها لإخفاء عمليات التجنيس، وكذلك استملاك أراضي وتوزيعها عليهم.

أبعاد تجنيس الأسد للشيعة اليوم

وبغض النظر عن الرقم الحقيقي للمجنّسين، فإن الثابت أنّ هناك عمليات تجنيس حصلت وتحصل للشيعة لاسيما اليوم، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعطيات التي تم ذكرها في سياق التقرير أعلاه، فمن الطبيعي الاستنتاج انّ الرقم سيكون كبيرًا. أمّا لماذا التركيز اليوم على منطقتي حمص والسويداء، فذلك لعدد من الأسباب أهمها:

١) الأهداف العسكرية: الهدف من التجنيس في هذا الإطار هو تهيئة الأرضية الشرعيّة والقانونية للميليشيات المقاتلة إلى جانب النظام السوري في حربه التي يشنها على المواطنين، وبالتالي فإنه يرفع من فعالية الاستفادة القصوى من هذه الميليشيات ليس في هذه الفترة فقط وإنما في المستقبل.

إذ من المعروف وفقًا للعديد من التسريبات أنّ النظام السوري سيطالب في حال بدء أي عمليّة مفاوضات برحيل كل المقاتلين الأجانب الموجودين داخل الأراضي السوريّة كشرط أوّل، وفي هذه الحالة فإنه يقصد المجموعات التي تقاتله ويستثني منها المجموعات التي تقاتل إلى جانبه؛ لأنّها تكون بموجب القانون سوريّة بعد تنفيذ لعبة التجنيس التي يقوم بها اليوم.

ومن المعروف اليوم أنّ هناك عشرات الآلاف من أفراد الميليشيات الشيعيّة التي أتت من الخارج للمقاتلة إلى جانب النظام السوري لاسيما من العراق ولبنان والتي تضاعف عددها خاصّة بعد دخول حزب اللّه على الخط، وبعد توقيع الحكومة العراقية والسورية اتفاقًا لرفع التأشيرة بين البلدين، والذي كان الهدف منه تسهيل مرور الميليشيات الداعمة للنظام بشكل شرعي بما لديها من عتاد وأسلحة.

يتناغم مخطط الأسد مع المشروع الجيو-طائفي في لبنان، والذي يباشره حزب اللّه منذ سنوات طويلة، والذي اكتسب زخمًا بعد العام ٢٠٠٦. اذ عكف خلال السنوات الماضية ولاسيما بعد العام ٢٠٠٦ على شراء أراضي من الطوائف الأخرى السنة والمسيحيين والدروز بمساحات هائلة.

٢) الأهداف السياسيّة: يدخل تجنيس الميلشيات الشيعيّة أيضًا في إطار الحسابات السياسيّة القادمة للنظام السوري لمرحلة ما بعد العام ٢٠١٤ إذا ما ظل صامدًا حتى حينه، وقرر التجديد لنفسه من من خلال الدخول في انتخابات حينما تنتهي ولايته وفق الدستور الحالي في ٢٠١٤/٧/١٧.

وعلى الرغم من أنّ هذه الكتلة التي تم ويتم تجنيسها قد لا تكون مهمة جدًا من ناحية العدد إذا ما أخذت بالمقارنة بعدد المواطنين السوريين أو الناخبين السوريين، لكنّها مهمة جدًا إذا ما أخذت في سياق:

- تهجير ملايين السوريين حيث من المتوقع أن يصل عدد المهجّرين إلى حوالي ٣ ملايين نهاية العام ٢٠١٣، ولكن أن تتخيلوا حجم هذا الرقم في نهاية عام ٢٠١٤ إذا ما استمرت الأوضاع على ما هي عليه اليوم.
- هناك معلومات تشير إلى إمكانية أن يقوم النظام أيضًا باستغلال المهجّرين داخل سوريا واستخدامهم كأداة أيضًا في خطّته هذه من خلال العمل على استقطابهم في مخيّمات داخل سوريا يقيمها هو بنفسه، خاصة مع إعلان الحكومة السورية بداية الشهر الحالي أنّها أقامت بالفعل ٨٣٠ مركزًا يأوي ١٧٠ ألف مواطن من المهجرّين. وإذا ما أضيف هؤلاء إلى المتجنسين وموالي النظام، في ظل غياب الطرف الآخر خارج البلاد فإن المعادلة ستختلف بالضرورة.
- إمكانيّة توظيف هذه الكتلة من المجنسين (مع غيرهم) في إطار مواضيع تتعلّق باستفتاءات قد تكون قادمة، أو في تغيير الخريطة الديمغرافيّة لبعض المناطق بعينها لأهداف تتعلق بسيناريوهات إقامة دولة علوية أو ربما لاحقًا في مرحلة سوريا المستقبل إذا بقيت موحدّة (كوضع الشيعة في لبنان من حيث التبعية لإيران واستخدامهم كأداة).

٣) أهــداف جيــو- طائفيــة: إذا مــا لاحظنــا الأمــاكن الــتي يقــوم النظــام الــسوري بالتلاعــب الــديمغرافي فيهــا، فــسنجد أنّهــا تتركّــز أساسًــا في محافظة حمص وفي منطقة السويداء جنوب سوريا.

ويبلـغ تعـداد حمـص حـوالي مليـوني نـسمة نـصفهم في مدينـة حمـص تقريبًـا، وتتـوزع التركيبـة الطائفيـة لحمــص (حــوالي ٧٠٪ ســنّة والبــاقي علــويين ومــسيحيين). هجّــر معظــم الــسنّة والمــسيحيين، في المقابـل لم يهجّـر أي علـوي، بـل بـالعكس، جُلـب شـيعة وعلويـون مـن منـاطق أخـرى ليـسكنوا في غـير مناطقهم في حمص، وهو بذلك يضمن:

- إعطــاء عمــق داخلــي للدولــة العلويّــة المفترضــة علـى الـساحل الـسوري في الـسيناريوهات الـتي مـا زلـت مطروحــة بالنــسبة للنظــام، علــى اعتبــار أنّ الــشريط الـساحلي لوحـده لا يمتلـك مقومـات دولـة، ولـيس لديـه أي عمق وسيكون محاصر من السنّة.
- وصـل هـذه الدولـة المفترضـة بالـشريط الـشيعي داخـل لبنـان (شـرق وجنـوب لبنـان) وذلـك عـبر غـرب محافظـة حمـص، علـى اعتبـار أنّ منطقـة غـرب حمـص علـى الحـدود اللبنانيـة حلقـة وصـل بـين علـوي وشـيعة سـوريا (المنتـشرين علـى الـساحل الـسوري وأطـراف حمص)، بشيعة لبنان في (الهرمل والبقاع).
- التمهيـد في مرحلـة لاحقـة ربمـا ووفقًـا للمـتغيرات الميدانيـة والعـسكرية علـى الأرض مـن مـد مـساحة وجغرافيـة هـذا الامتـداد الطـائفي إلى شـرق سـوريا ومحاولـة وصلـه بـالعراق، وهـو الأمـر الـذي مـن شـأنه أن يبقــي المــشروع الــشيعي الإيرانــي حيّــا، ويتحــوّل الـسنّة في سـوريا ولبنـان والعـراق إلى أسـرى للحـصار الشيعي وليس العكس.

ويتنــاغم هــذا المخطــط مــع المــشروع الجيــو- طــائفي في لبنــان، والــذي يباشــره حــزب الله منــذ ســنوات طويلـة، والـذي اكتـسب زخمًـا بعـد العـام ٢٠٠٦. اذ عكــف خــلال الــسنوات الماضيــة ولاســيما بعـد العـام ٢٠٠٦ علـى شـراء أراضـي مـن الطوائـف الأخـرى الـسنة والمـسيحيين والـدروز بمـساحات هائلـة، وبطريقــة ممنهجــة تحــت أغطيــة متعــددة، منهــا التجـاري ومنهـا الاسـتثماري ومنهـا الإنمـائي، لكنّهـا كـانـت حقيقـة مـن أجـل إنـشاء امتـداد طبيعـي للـشيعة الموجــودين في جنــوب لبنــان وأولئــك الموجــودين في البقـاع والهرمـل، ووصـلهم أيـضًا بالـشيعة الموجـودين في سوريا وعلويي الساحل السوري.

وعلـى الـرغم مـن أنـه يـصعب قـراءة اختيـار النظـام في اختيـار الـسويداء كمكـان لاسـتيطان المجنـسين الجــدد، إلا أنــه مــن الممكــن تخمــين بــضعة احتمالات، ومنها:

- كونهـا منطقـة أقليـات، والأقليـات أقـل ممانعـة لهكذا مشروع كما يعتقد النظام.
- زرع النظــام ســابقًا لمهــاجرين شــيعة خاصــة عراقيين في منطقة درعا القريبة.
- لكــون المنطقــة قريبــة نــسبيًّا مــن الحــدود مــع إسـرائيل فهـي ورقـة ممتـازة للمراوغـة مـستقبلا سـواء في سـيناريو شـبيه بالـسيناريو اللبنـاني، مـن حيـث ابتـزاز إسـرائيل أو في سـيناريو مقايـضة تـأمين أمـن إسـرائيل بالموافقـة عـبر هـذه المنطقـة بمقابـل الموافقـة على سيناريو دولة علوية في الساحل وحمص.
- إقنـاع الأقليـات خـارج دولـة الـساحل بـانّهم لـن يتعرضــوا لأي أذى مــع وجــود هــؤلاء المــسلحين كضمانة لهم في سوريا مقسّمة.

التنازع بين المثال والتاريخ...
قراءة في رؤية المعارضة البحرينية للإصلاح

كمال الديب – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٨/١٢

نــشرت المعارضــة البحرينيــة مــؤخرا وثيقــة سياســية علــى موقــع «لؤلــؤة البحــرين الإلكترونــي»، بعنــوان: «وثيقــة المبــادئ والمــصالح المــشتركة»، مذيلــة بأســماء الجمعيــات الخمــس المعارضـة المـشاركة في حـوار التوافـق الـوطني الجـاري في البحــرين، ضــمنتها الأفكــار والمبــادئ الــتي

تعتبرها أساسية وتشكل المصالح المشتركة التي على أساسها يمكن بناء «عقد اجتماعي جديد». أو ما تسميه هذه المعارضة «إصلاحا حقيقيا ذا معنى»!

ويفضي النظر الموضوعي في هذه الأفكار والمبادئ بصيغتها المنشورة - أيا كان القصد من نشرها بموازاة حوار التوافق الوطني الذي دعا إليه ملك البحرين منذ فبراير (شباط) ٢٠١٣ – يطرح كثيرا من التساؤلات حول حقيقة مواقف هذه الجمعيات ورؤيتها لسقف الإصلاح السياسي في البحرين، ومدى واقعيته وقابلية التوافق بشأنه، مع بقية مكونات المجتمع السياسي الوطني، بل إن هذا الطرح في علو سقفه يشكك في مدى رغبة الجمعيات المعارضة في الوصول إلى حلول توافقية، من خلال هذا الحوار للخروج من الأزمة السياسية المستمرة منذ فبراير ٢٠١١، إذ يبدو الطرح في مجمله أقرب إلى تحد «سياسي» على الدولة وما قامت عليه من ثوابت.

فمن حيث المضامين والمرجعيات تبدو الوثيقة في بنيتها اللغوية، وفي مرجعياتها الفكرية، مصاغة وفقا للمرجعية (الليبرالية) ضمن سياق نظام جمهوري، فالمبادئ التي تضمنتها هذه الوثيقة تبدو من حيث طموحها وسقفها أعلى مما هو موجود في بعض النظم الديمقراطية في منابتها الغربية العريقة (وللمفارقة، فإن مركز ثقل هذه المعارضة هو جمعية الوفاق الإسلامية، وهي جمعية دينية بتركيبة طائفية مغلقة وبقيادة دينية معلنة).

كما أن الوثيقة تتضمن تركيزا على المرجعيات الدولية من حيث القيم والمبادئ والآليات، ومن ذلك الحديث عن الإشراف الدولي على جميع الجوانب السياسية والدستورية في مرحلة الحوار أو (الإصلاح الديمقراطي)، بعيدا عن مفهوم ومعنى ومحتوى الإصلاح السياسي القائم منذ عام ٢٠٠١، ومرجعياته المستقرة، وحدودها المعقولة والمتوقعة، وكذلك «الثوابت الوطنية» المستقرة في ضمائر الناس، فجميع الإحالات في الوثيقة تتم وفقا لمرجعية الأمم المتحدة والعهود الدولية فقط، حتى إنه يتراءى للقارئ لهذه الوثيقة أننا بصدد إنشاء كيان جديد من العدم (نذكر هنا أن بعض أقطاب المعارضة قد نادى صراحة إبان الأزمة بمجلس تأسيسي وطني للبدء من الصفر)، والأخطر من ذلك أنه يتضح في متن هذه الوثيقة وفي هوامشها تواتر الإحالات إلى الخارج، من خلال الحديث عن «مراجعة قرارات الدولة من خلال جهة خارجية مستقلة».

أما على صعيد الصياغة السياسية للوثيقة، فهنالك إحالة على «أفضل الممارسات الديمقراطية في العالم» وأنه (بالتالي) لا خلاف حول المبادئ والرؤى التي تبشر بها على الصعيد الدولي والإنساني، فالتماهي هنا هو مع المطلق، وليس مع الواقع، مع المثال وليس مع التاريخ، فكأنما الهدف في النهاية هو كسب تعاطف المجتمع الدولي كأولوية معادلة لقوة الدولة والمجتمع المحلي، مع الإعراض تماما عن معالجة إشكاليات وتطلعات ورؤى الداخل وتناقضاتها وتوازناتها الواقعية وامتداداتها الإقليمية، إذ يبدو الداخل غير مأخوذ في الحسبان في هذه الوثيقة، بما يعزز غياب الواقعية السياسية في مشروع المعارضة في البحرين في مستوى التطلع وسقف «الإصلاح» في اللحظة التاريخية الراهنة..

ولعل اللافت أيضا هو ذلك الإلحاح الغريب على ضرورة دمج العامل الخارجي في حل إشكاليات الداخل على أساس أنه من الصعب إنجاز تطور ديمقراطي ناجع من دون وجود دور حاسم للعامل الخارجي، بحيث تسهم المساندة الخارجية «الصديقة» في نشر الديمقراطية وترسيخ احترام حقوق الإنسان، دون التنبه إلى أن هذا النوع من التدخل لا يمكن أن يأتي في سياق مجرد من الأطماع والضغوط، ولذلك يظل الاستنجاد بالخارج

واستحضاره ليكون طرفا أو عاملا حاسما في حسم الصراعات السياسية المحلية عملية لا أخلاقية وغير حصيفة من الناحية السياسية، وتحيلنا مباشرة إلى التجربة العراقية سيئة الصيت.

إن تفحّص ما ورد في هذا المشروع، يفضي إلى نتيجة واحدة حيثما حللتها، وهي الهدم الكامل لأسس الدولة القائمة والممتدة على مدى أكثر من قرنين من الزمان، بشرعية الحكم فيها، وبمؤسساتها الدستورية وبإجماع شعبها على القيم والمبادئ الجامعة في ميثاق العمل الوطني الشهير، الذي أجمع فيه شعب البحرين بنسبة ٩٨،٤ في المائة على القيم والثوابت وعلى أسس الإصلاح السياسي منذ عام ٢٠٠٢.

وبهذا المعنى، فإن المطلوب صراحة هو الالتفاف على هذا الإجماع السابق، باعتباره عقدا اجتماعيا يؤصل لشرعية النظام السياسي، والتأصيل لـ«عقد اجتماعي جديد»، وفقا للمرجعيات والرؤى التي تطرحها المعارضة في هذه الوثيقة أو في «وثيقة المنامة» من قبلها، وهذا يعني إلغاء كل شيء تقريبا و«الانقلاب على الدولة بالمطلق»، فلا توجد إشارة واحدة لشرعية الحكم ولا لطبيعته ولا إلى الملكية الدستورية القائمة، التي فتحت الباب على مصراعيه للتجربة الديمقراطية الجديدة منذ عام ٢٠٠١، ولا إلى الدستور أو الميثاق أو المؤسسات الدستورية والإشكاليات القائمة وكيفية حلها ومعالجتها ضمن سياقها المحلي والإقليمي، فضلا عن استبعاد المرجعيات الأساسية المستقرة وتقليص جميع ما يتعلق بهوية البحرين العربية وانتمائها إلى الوطن العربي: «استبعاد الفقرات الواردة في دستور مملكة البحرين ٢٠٠٢، مثل (شعبها جزء من الأمة العربية)، (إقليمها جزء من الوطن العربي الكبير)، (لغتها الرسمية هي اللغة العربية)، (البعد الخليجي).. إلخ»، فقد جرى الشطب على هذه العبارات نهائيا والاقتصار على صياغات عامة حول هذه الهوية، مع أنه قد جرى تفصيل كل شيء تقريبا.

أما من حيث انعكاس ما ورد في هذه الوثيقة على الحوار الوطني المتعثر، فيمكن ملاحظة - ومن دون عناء كبير - أن جزءا من مضمون هذه الوثيقة قد جرى طرحه بالفعل، بإلحاح وإصرار، مع محاولة فرضه على أجندة الحوار، كالمطالبة بوساطة أو خبرة دولية، تشرف على مخرجات الحوار وتنفيذه، هذا فضلا عن التطابق شبه التام بين أهم مفردات هذه الوثيقة ووثيقة المنامة التي سبق للمعارضة إصدارها، والنقاط المعلن عنها في الحوار كنقاط مرجعية للمعارضة المسماة «النقاط التسع».

ويقود هذا التطابق إلى التأكيد على إصرار المعارضة على المضي قدما نحو تحقيق مطالبها بشكل كامل، دون الأخذ بعين الاعتبار مقتضيات التوافق الوطني مع بقية مكونات المجتمع السياسي، الذي لا يتفق مع المعارضة في سقف المطالب، ولا في نوعية الإصلاح السياسي ولا في مداه، ولا في أولوياته، ومع ذلك يؤمل أن تفضي المناقشات والحوارات الجارية حاليا - مهما تعقدت وتعثرت - إلى تعزيز النزعة الواقعية والخروج من عالم المثال إلى توافقات وطنية واقعية حول حلول يمكن تبنيها من أغلبية المواطنين، وتكون معبرة عن «الوسط» الجامع، بما يساعد في النهاية على التقدم نحو المستقبل المشترك، بعيدا عن النزعات الإقصائية والمثالية السياسية والاستقطاب الذي بات يشق المجتمع.

علمانية التكفير والتقتيل والتفجير والطائفية

أسامة شحادة – الغد ٢٠١٣/٨/٣٠

كشفت سنوات الربيع العربي القناع عن حقيقة العلمانية التي يراد أن تسود في أمتنا العربية والإسلامية، هذه العلمانية التي وفدت إلينا مع طلائع الاستعمار ثم تسنمت المناصب والقيادة من على ظهور دبابات الاحتلال وتحت ظل حرابهم.

وبقيت العلمانية تحاول طيلة أكثر من ١٠٠ عام أن تشرعن وجودها عبر كل أدوات السلطة السياسية والإعلامية والثقافية دون جدوى، فلا تزال العلمانية لا تنجح في أي انتخابات شعبية حقيقية إلا بالتزوير في الصناديق أو التلاعب بالقوانين لإفراغ الساحة لأتباعها أو عبر قوائم جماعة الإخوان المسلمين !!

وهذا انعكاس لفشل العلمانية المتواصل على صعيد الفكر والتنمية، فلم تفلح جهود العلمانيين الضخمة في القضاء على الهوية الإسلامية لمجتمعاتنا برغم كل المحاولات وعبر كل الوسائل، حتى لجأت مؤخراً لحرب الإسلام من داخله بطرح سياسة علمنة الإسلام وتشجيع الإسلام المدنى وإحياء الإسلام الطرقي الخرافي بعد فشل سياسة تجفيف المنابع وسياسة البطش والإرهاب، ورافق هذا الفشلَ فشل أكبر على صعيد التنمية والازدهار في كل الدول العربية حتى البترولية منها!

ومع بدء الربيع العربي وسقوط أنظمة الاستبداد فاز التيار الإسلامي في كل الانتخابات النزيهة التي جرت، ولكن هذا لم يرق للعلمانيين: سواء «المخلوعين» منهم بالربيع العربي، أو الخاسرين في انتخاباته!

وهنا كشفت العلمانية (داعية التنوير والحداثة والتقدم والرقي!) أقنعتها الكاذبة، وفأعلن عن بدأ مسلسل التكفير العلماني العلني للتيار الإسلامي، فالقذافي كان يصف مخالفيه الإسلاميين بالزنادقة! وبشار يتهمهم بالانتساب للجماعات التكفيرية! وإعلام الانقلاب في مصر يطلق عليهم (جماعة الإخوان الكفار)! وخرجت علينا جريدة صوت الأمة بعنوان عريض حرفت فيه قوله تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١]، إلى دعاية تكفيرية فكتبت (وسيق الذين **تأخونوا** إلى جهنم زمرا)، ولم يتحرك الأزهر ولا وزارة الإعلام ولا نقابة الصحفيين إزاء هذا التحريف والتكفير!!

وأصبح تكفير الإخوان على شاشات الفضائيات الانقلابية أمرا عادياً في ترسيخ واضح لثقافة التكفير التي زعم العلمانيون أنهم يحاربونها كشكل من أشكال التطرف، لكنهم اليوم يمارسونه بشكل رسمي وعلني بفخر واعتزاز، في تناقض صارخ مع العلمانية الداعية لفصل الدين عن الدولة أو غلاتهم الداعين لفصل الدين عن الحياة!!

أما القتل فقد كشف الربيع العربي عن مدى ترسخ ثقافة القتل لدى العلمانية - عبر تاريخها- بحق الشعوب، فمِن موقعة الجمل إلى مذابح القذافي إلى صواريخ علي صالح إلى براميل بشار، وانتهاءً بمجازر رابعة العدوية وحرق جثث المعتصمين!

ورغم آلاف القتلى الذين أزهقت أرواحهم ظلماً وعدواناً من الأطفال والنساء والرجال والشيوخ ببراميل المتفجرات والقذائف الكيماوية، لا زالت حناجر مأجورة كثيرة من مثقفي العلمانية تبرر هذا القتل وتستبيحه وتشجع عليه وتدعو إليه!!

ولم تقتصر على ذلك بل سعت إلى التلاعب بالدين ورموزه عبر الإغراء أو الخداع وتوريط بعض المتدينين إلى استصدار فتاوى وكلمات تبرر

وتـشجع علـى القتـل، تم تـسجيلها في المؤسـسات العـسكرية الرسميـة ولـيس في كهـوف وسـراديب! وتم منتجتهـا -بـزعم بعـض المتـورطين- وبثهـا علـى المواقـع الرسميـة العـسكرية والتلفزيونـات الحكوميـة لتـشرعن قتـل المعتـصمين ولـيس في المنتـديات الجهاديـة، وفعـلاً تفـاخر أحـد القناصـة بـسبب هـذه الفتوى بقنص ٨٠ متظاهراً سلمياً!!

والطريـف أنـك لا تـسمع دعـوات الاسـتنكار للـضربات العـسكرية إلا إذا كانـت موجهـة للمجـرمين المعتـدين علـى شـعوبهم، فقـد بلـغ مـن اجـرامهم دعـم الطغـاة لقتـل شـعوبهم ومنـع وصـول العـون لهـم مـن أي جهـة كانـت، ثـم يحـدثونك عـن الأخوة الإنسانية !!

والـذين يؤيـدون قتـل الجيـوش للـشعوب المـسكينة في سـوريا ومـصر ينـددون بنيّـة الغـرب قـصف مواقـع عـسكرية للجـيش الـسوري!! والأوقـح مـن هـؤلاء: العلمـانيون الطـائفيون في العـراق الـذين اسـتجدوا الـدبابات الأمريكيـة والبريطانيـة لتخلـصهم مـن صـدام، في حـين أنهـم اليـوم ينـددون - مـن الكراسـي الـتي يجلـسون عليهـا بفـضل تلـك الـدبابات- بقـصف الغـرب المحتمـل لمواقـع الجـيش السوري المجرم!!

وقـد كـشف أحـداث الربيـع عـن طائفيـة عـدد مـن عمالـة العلمانيـة وعتاولتهـا مثـل أدونـيس الـذي أصـبح نقيـب الـشبيحة العلمانيـة بدعمـه غـير المحـدود لمجـازر بـشار وجنـوده بـسبب كونـه مـن أبنـاء الطائفـة العلوية !

وفي مـصر تعلـن وزارة الداخليـة عـن القـبض علـى عـدد مـن المجـرمين الـذين نهبـوا بعـض الكنـائس فيخـرج الأسـقف ليكـذب الأمـن ويـتهم الإخـوان المـسلمين بـذلك ! بـرغم سـيل الـشهادات مـن القـساوسة والمـثقفين والشخـصيات النـصرانية الـتي تـتهم الداخليـة بالتقـصير وتـشجيع البلطجيـة علـى سـرقة الكنـائس وحرقهـا لبلبـة الوضـع ضـد التيـار الإسـلامي، كمـا سـبق أن فجـرت وزارة الداخليـة المـصرية كنيـسة الإسـكندرية قبيـل ثـورة ٢٥ ينـاير وألـصقتها بـشاب سـلفي (سـيد بـلال) قتـل تحـت التعـذيب ثـم بـرأ القـضاء الـضابط المـتهم بتعذيبـه وقتله!

لقـد سـقطت اليـوم عـن العلمانيـة كـل الأقنعـة الـتي كانـت تختبـئ خلفهـا، فهـم كفـروا بنتيجـة الـصناديق الانتخابيـة الـتي صـدعوا رؤوسـنا بهـا، ولم يلتزمـوا بالمدنيـة الـتي حـاججوا بهـا، ورحبـوا ودعـوا العـسكر ليـتحكم بالعبـاد والـبلاد، ولم يبـالوا بأبـسط معـايير الموضـوعية والمهنيـة في الإعـلام، ولم يـرفّ لهـم جفـن مـن سـيل الاعتقـالات التعـسفية، ولم يطرحـوا بـديلاً منطقيـاً لأي مـشكلة اعترضـوا علـى حل خصمهم الإسلامي لها!!

وتبقـى كلمـة نوجههـا للعقـلاء إن وجـدوا أن ديكتاتوريـة جمـال عبـد الناصـر أنتجـت جماعـة الـتكفير والهجـرة، وغـرور الـسادات وصـلفه قـتلاه، وظلـم عـسكر الجزائـر أدخلـها في دوامـة الحـرب الأهليـة، والعـلاج الأمـني عقـب احـتلال الكـويت وسّـع فكـر القاعـدة بالـسعودية، واليـوم هـذا التطـرف العلمـاني الإرهـابي سـينتج نقيـضه لا محالـة، كمـا أن التلاعـب بمـسار الثـورة الـسورية ومـستقبل سـورية بإقـصاء الثـوار والمجاهـدين المخلـصين لـصالح مـصالح الأنظمـة والقـوى الإقليميـة والدوليـة سيـشعل المنطقـة ولـن يجلـب لهـا الأمـن والإسـتقرار، فهـل مـن مـدكر وهل من صادق يجنبنا الخطر والزلل ؟

الجماعة بين مخطط اليسار وقناعات المبادرة

عصمت الصاوي– المصريون ٢٠١٣/٩/٧

أطلقت الجماعة الإسلامية مبادرة وقف العنف عام ١٩٩٧ ومر على هذا الميلاد أكثر من ١٦ سنه كاملة.. قطعنا خلالها أشواطاً طوال في تدعيم وترسيخ القواعد والأعمدة التي بنيت وشيدت عليها المبادرة الطيبة بل وأثمرت هذه المبادرة ثماراً ذاق حلاوتها المجتمع المصري كله.. بل والكثير من دول الجوار الذين تقبلوها بالبشر والترحاب والقبول. ورأوا فيها بداية حقيقية لفكر عميق واع يدرك المخاطر التي تواجه أمته الإسلامية.. ويعمل على مواجهتها وحربها والقضاء عليها.ــ ورأوا فيها نهاية حقيقية لفترة سوداء مظلمة ومؤلمة في تاريخ مصر.

ورأي عقلاء الأمة وحكمائها أن مبادرة وقف العنف هي بمثابة مصالحه وطنية عظيمة تحفظ نسيج الوطن وتحافظ علي أمنه وتعمل على رخاءه ونموه. ـ ورأوا فيها أنها لم تقدم حلاً جزئياً أو وقتيا للصراع.. وإنما قدمت حلولاً جذرية وأبدية تقضي على الاحتراب الداخلي وتستأصل جذوره وفق رؤية شرعية وواقعية متكاملة. ـ ورغم مرور ١٥ عاما وأكثر على مبادرة وقف العنف.. إلا انه ما زال يحلو للبعض أن يثير الشكوك ويطلق الاتهامات جزافاً ومن غير برهان !! ــ وقد تقبل هذه الأقاويل وتسمع تلك الأباطيل من العامة ومن أبناء الشارع البسطاء الذين لا خبرة لديهم ولا خلفية ثقافية عندهم.. أما أن تصدر هذه الأقوال ممن يتصدر المشهد الإعلامي والسياسي الأن فلابد من أن تكون هذه الأراجيف لها دلالات وأهداف وخاصه إذا كانت صادره من أباطره اليساريين وزعماء الفكر الشيوعي والعلماني في مصر ومن خلفهم الآله الإعلاميه الجباره التي يمولها ويقود توجهها حفنه من دعاه هدم وتغييب المشروع الإسلامي في مصر وقد ازدادت هذه الهجمه شراسه بعد ٣٠ يونيو المصحوب بالإنقلاب العسكري وموقف الجماعة الإسلامية منه المبني علي تبني استراتيجيه المقاومه السياسيه السلميه في رفض الإنقلاب ثم ازدادت الحده بعد استهداف مجموعه من الكنائس في صعيد مصر ثم بلغت الحمله ذروتها بعد ١٤يوليو علي أثر فض اعتصامي رابعه والنهضه وما تلاها من مسيرات مندده بالانقلاب واستهداف أمني واضح لقيادات الأخوان المسلمين ثم بلغت المدي الأقصي لها أمس علي أثر محاوله اغتيال اللواء محمد ابراهيم وزير الداخليه. ومن الممكن أن نجيب علي هذه المزاعم والإفتراءات التي تقول بعوده الجماعة الإسلامية إلى العنف من خلال مجموعه من النقاط علي رأسها :- الأولى: أن هناك فقر حاد في معرفة أسلوب الجماعة الإسلامية وقادتها في العمل.. إذ ليس من دأبهم أن يكون لهم وجهان وجه يتحدثون به للناس والإعلام.. ووجه يتحدثون به في الغرف المغلقة.. وبمعني أخر ليس من طبيعتهم أن يتكلموا عن السلام وهم يخططون للحرب. فعندما كانت الجماعة الإسلامية تعتقد أن الصدام المسلح هو الحق والصواب وهو الأهدى سبيلا نطقت بما اعتقدت ونفذت ما نطقت به في صراحة ووضوح ودون خوف أو مواربة. وعندما رأت أن هذا الصدام لا يصب إلا في صالح أعداء الإسلام وأعداء الأمة وأنه ليس له ثمرة سوى سفك الدماء وزرع الأحقاد وتفتيت الأمة وإضعافها.. بل أنه تحققت فيه كل الموانع التي تدعو لوقفه وانتفت عنه الشروط التي تدعو لإمضائه وقفت الجماعة الإسلامية ذات الموقف الذي كانت رائدته من أكثر من عشرين عاماً لتعلن بنفس القوة ونفس الشجاعة وقف هذا الاحتراب إلى الأبد مستندة في ذلك علي الرؤية الشرعية المتعمقة والنظرة الواقعية الواعية. وقد اعلنت الجماعة الإسلامية في كل موطن أنها تتبني المعارضه السلميه وأنها لن تجر إلى العنف مهما كانت خسائرها وتضحياتها وقدمت بالأمس القريب مبادره قادها الدكتور عبود الزمر لوقف نزيف الدم وايجاد مخرج للأزمه الراهنه في مصر.

الثانيــه: المواقــف العمليــه الــتي اتخــذتها الجماعــة الإســلامية منــذ ثــوره ٢٥ ينــاير وإلــي اليــوم والــتي تــدل كلــها علــي تمســك الجماعــة بالخيــار الإســتراتيجي الــسلمي الــذي تبنتــه في تــسعينيات القــرن الماضــي فلــم تلجــأ إلى العنــف في الوقــت الــذي كــان العنــف فيــه مــبررا والدولــه في أضــعف حالتهــا بعــد ال ٢٥ مــن ينــاير وإنمــا كــان موقفهــا يــدل علــي توجههــا وصــدق اختيارهــا فقــد حمــت الكنــائس والمنــشأت العامــه ومؤســسات الدولــه وشــاركت في اللجــان الــشعبيه الــتي حمــت المجتمــع وحافظــت عليــه وقــت الفــراغ الأمــني والإنــسحاب الــشرطي وكــذا دشــنت الجماعــة الإســلامية وحزبهــا البنــاء والتنميــه مبــادره وطــن واحــد ومــستقبل مــشترك للتواصــل مــع الكنــائس والأقبــاط علــي كــل مــستواياتهم في الوقــت الــذي كانــت الدولــه تــدين للتيــار الإســلامي وهــذا يــدل علــي قناعــات راســخه بــالمنهج الــذي خطتــه الجماعــة لنفــسها والــذي يقــوم علــي التعــايش الــسلمي الآمــن بــين أبنــاء المجتمــع والتواصــل الحــضاري المثمــر مــع دول الجــوار. الثالثــه: أن مــزاعم عــوده الجماعــة إلى العنــف تخــالف أبجــديات التسلــسل التــاريخي للأحــداث.. فلــم تكــن هــذه المراجعــات وليــدة يــوم لا شمــس فيــه أو عقــب ضــربة إجهاضــية أضــعفتها وأثــرت فيهــا.. وإنمــا اســتغرق الــتفكير في تلــك المراجعــات سنــوات طــوال مــن البحــث المــستفيض والجهــد المــضني والدراســات العلميــة المتعمقــة والنظــرات الواقعيــة المتأملــة حتــى تراكمــت لــدينا قناعــات شــرعية وواقعيــة راســخة بــضرورة وقــف هــذا الاحــتراب. وبــدأنا منــذ عــام ١٩٩٠ نحــاول وأد هــذه الفتنــة وإيقافهــا.. ولا يخفــى أن في هــذا التوقيــت كــان عــدد المعــتقلين مــن أبنــاء الجماعــة الإســلامية لا يتجــاوز بــضع مئــات لا أكثــر وعلــي الــرغم مــن ذلــك كــان ســعينا حثيثــا لطــرح أفكارنــا و آرائنــا حــول موضــوع العنــف والــصدام.. وكانــت هنــاك وســاطات مــن كبــار العلمــاء والمفكــرين ولكــن لم يكتــب لهــا النجــاح لأســباب تخــرج عــن إرادتنــا ولا مجــال هنــا لبــسطها. وإنمــا يُعــد ذلــك دلــيلا راســخا علــى أن قناعتنــا بالمبــادرة شــرعية وواقعيــة وليــست وفــق سياســة مرحليــه لإعــداد العــدة والتقــاط الأنفــاس إذ كانــت الجماعــة في هــذا التوقيــت مكتملــة الــصفوف خــارج جــدران الــسجون إلا مــن قيــادات الــصف الأول وبعــض المعــتقلين. ثــم شــاء الله في عــــام ١٩٩٧ أن تــــنجح مــــساعينا و أن نخطــــو أولى خطواتنــا في الطريــق الــذي بــدأناه منــذ عــام ٩٠ لينتهــي مسلــسل العنــف إلى الأبــد في تــاريخ وابجــديات الجماعــة الإســلامية ويبــدأ فــصل جديــد يقــوم علــي النــضال الــسلمي وفــتح قنــوات التواصــل مــع المجتمــع المــصري. الرابعــه: ولــيس أدل علــي صــدق قــادة الجماعــة وصــدق تــوجههم نحــو إيقــاف العنــف وإبطالــه، مــن تــسطير هــذه القناعــات في كتــب وإصــدارات، إذ البدايــة الحقيقيــة لأن توصــل منهجــاً وترســخه أن تمــسك بــالقلم والمحــبرة وتخــط مــا اعتقــدت مــن أراء وتــصورات ليــصبح مــا ســطرت شــاهداً عليــك وحجــة وعهــدا بينــك وبــين الآخــرين، ثــم إن هــذا المــنهج المنظــر المكتــوب يجعــل مــن مــسألة التراجــع طعنــاً في مــصداقية صــاحبه وفي صــدق دعوتــه. ولــو كانــت المراجعــات وســيلة لترتيــب الأوراق وتنظــيم الــصفوف لمعــاودة كــرة الــصدام مــن جديــد لاكتفــت القيــادات بالكلمــات المنمقــة والعبــارات المزخرفــة في الأروقــة والمكاتــب.. حتــى يــسهل التنــصل منهــا والتنكــر لهــا عنــدما تحــين الفرصــة ويــأتي أوان الوثبــة أو علــى أقــل تقــدير لأصــبحت كلمــاتهم حمالــة ذات وجــوه.. ولكــن الجماعــة لم تفعــل ذلــك.. وإنمــا جــاءت الدراســات كمــا ذكــر الأســتاذ / أحمــد الملــسماني « حاســمة ونهائيــة ولا تحتمــل التأويــل أو التبــديل أو ســوء الفهــم.. وقــد جــاء ذلــك كلــه علــي وجــه يــثير الدهــشة « الخامــسه: ولم تكتــف القيــادات التاريخيــة بتــنظير منهجهــا وتــسطير أرائهــا دون لقيــا قويــة وحقيقــة بــإخوانهم.. فملكــوا القــوة والــشجاعة وواجهــوا إخــوانهم وأبنــائهم بمــوقفهم الجديــد.. بــل بمــوقفهم الــصريح الواضــح الــرافض لجملــة التجــاوزات الــسابقة.. فكيــف يستــساغ في عقــل وضــمير العقــلاء أن تــأتي هــذه القيــادات عنــدما تحــين الفرصــة وتقــول للقواعــد

هيا نخالف ما اجتمعنا عليه سلفا وما أصلناه شرعاً وعقلاً. آلا ترى معي أن ذلك يُعد انتحاراً لتلك القيادات. سادسا: لقد بلغت أفكار المبادرة بين أبناء الشعب المصري عامة والمثقفين والدولة والحركات الإسلامية خاصة مبلغ التواتر.. ووصلت إلى القاصي والداني من أبناء المجتمع.. وهذا يعد أقوى وأرسخ ضمانة لمصداقية المبادرة في المجتمع والرأي العام. إذ ترسخ لدى مثقفي المجتمع ومفكريه بل لدى الرأي العام كله أن الجماعة الإسلامية وقياداتها قد نحت نحو الصلح ونبذت الصدام واعتمدت الطريق السلمي مع المجتمعات والحكومات أسلوباً لعملها ومستقبلاً لأبنائها. ومن ثم فتح المجتمع المصري ذراعيه لاحتضان أبناء الجماعة بتوجههم الجديد فكيف يستساغ غداً التنكر لقيم الصلح والموادعة وخلع أثواب الصفح والعفو وارتداء ثياب الحرب وعدتها. إذا صنعت الجماعة الإسلامية ذلك فقد فقدت حليفها الطبيعي ورصيدها الاستراتيجي وهو المجتمع الذي تقلبها بشكلها الجديد.. وتكون بذلك حكمت علي نفسها بالموت السريع وهذا لا يستساغ لدي العقلاء النابهين !! سابعا: جملة الوعود والعهود التي قطعتها الجماعة الإسلامية علي نفسها بوقف الاحتراب الداخلي.. والذي يؤكد الشارع الحكيم ليس علي احترامه وفقط وإنما شدد علي الوفاء به « يا أيها الذين امنوا أوفوا بالعقود » وقال « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » ولو فعلنا لكنا متلاعبين بالشرع واقعين في محارم الله وأخيراً: فإنني أظن أن هذه الحمله الشرسه علي الجماعة الإسلامية والتي يقودها بقايا اليساريين وأنصار الفكر الشيوعي والعلماني في مصر لها جمله من الأهداف علي رأسها:- - شيطنه الجماعة الإسلامية في نظر المجتمع ومن ثم فصلها عن رصيدها الإستراتيجي ومددها الطبيعي. - تحييد الجماعة الإسلامية كعنصر فاعل في الصراع السياسي المستقبلي. - الإنفراد بصياغه مستقبل مصر وتحديد ملامحه. - الإنفراد بصياغه دستور يسعي إلى علمنه الدوله وإلغاء مواد الهويه. - تغيير الهويه المصريه من خلال الإنفراد بالمفاصل الثقافيه والتعليميه والجماهيريه في مصر. - تشويه المشروع الإسلامي وتوجيه ضربات قويه للإجهاز عليه. - صناعه وزرع عداوات بين المؤسسات الأمنيه والجماعة الإسلامية. - زرع فتائل أزمه بين الأقباط والجماعة الإسلامية. - توصيف الجماعة عالميا علي قائمه المنظمات الإرهابيه. - الوصول إلى ضربه إجهاضيه للجماعه مماثله ل تسعينيات القرن الماضي تأخذ عقودا لعلاج آثارها. وعلي الرغم من كل ما تقدم الا أن قيادات الجماعة الإسلامية وأبنائها يصرون علي الوقوف في المربع الصحيح الذي خطته الجماعة لنفسها في نهايات القرن الماضي من خلال منظومه المراجعات الفقهيه التي رسمت طريقا واضحا للجماعه وأبنائها يقوم علي التعايش والتواصل مع أبناء المجتمع المصري علي إختلاف توجهاتهم وتنوع مشاربهم ومعتقداتهم مؤمنين بقول الله تبارك وتعالي «وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الآثم والعدوان»

الشيوعيون يكتبون الدستور الانقلابي!

د. حلمي القاعود- جريدة الوسط ٢٠١٣/٩/٧

بعد انتخابه رئيسًا للكنيسة الأرثوذكسية أصر تواضروس ألا يتم تنصيبه بابا للأرثوذكس قبل انسحاب النصاري والموالين للكنيسة من شيوعيين وناصريين وليبراليين وأشباههم من اللجنة التأسيسية لصياغة الدستور الذي تم الاستفتاء عليه عام ٢٠١٢. كانت اللجنة قد أوشكت على مناقشة المواد الأخيرة في الصياغة النهائية للدستور، ولكن تواضروس أراد أن ينفّذ إرادته ويُمضي مشيئته ألا يكون هناك دستور مصري يعبر عن الشعب المسلم، وبالفعل انسحب الموالون له وإن كان الاحتياطي قد وفر الأغلبية المطلوبة وتمت صياغة الدستور والاستفتاء عليه

بأغلبية غير مسبوقة في العالم.

تواضروس والعلمانيون والأشرار لم يتسامحوا مع الإرادة الشعبية التي أقرت الدستور الذي يعبر عن الهوية الإسلامية للشعب المصري، ولم تعجبهم اللجنة التأسيسية التي انتخبها الشعب، فأصروا على استدعاء العسكر، من خلال الإعلام الضارب الداعر والأموال المهولة المجهولة التي يتم إنفاقها على الأبواق والأقلام، وتم الانقلاب العسكري الدموي الفاشي الذي عطل الدستور، وألغى المجلس التشريعي المنتخب، واختطف أول رئيس مسلم منتخب يحفظ القرآن، وصادر الحريات، واستخدم الرصاص الحي وقصف الطائرات في قتل ما يقرب من خمسة آلاف مصري بريء، وإصابة ما يزيد على عشرة آلاف بعضهم إصابته قاتلة، وطغى في البلاد اعتقالاً وخطفاً وترويعًا في جوف الليل ووضح النهار، وسيطر على الصحافة والإعلام فلم يعد هناك صوت يخالف صوته، ولا رأي يغاير رأيه، وعادت الطوارئ مرة أخرى، وتم فرض حظر التجول لتنجح حرب العسكر ضد الشعب المصري الأعزل!

الانقلابيون شكلوا لجنة مصغرة، وأخرى من خمسين شخصًا لتكتب دستورًا جديدًا يمحو الإسلام محوًا، ويكرس هيمنة البيادة على البلاد والعباد، ويهيئ للحركات الهدامة والعقائد الفاسدة والضالة أن تمارس أنشطتها في طول البلاد وعرضها دون سدود أو قيود، فالسدود والقيود وضعت في دستور الانقلاب لوأد الإسلام واستئصاله وتصفيته، ومنع الأحزاب الإسلامية أو ذات المرجعية الإسلامية من الوجود.

كان بعض الإسلاميين ممن ينافسون الإخوان المسلمين يظنون أن تحالفهم مع العسكر والعلمانيين سيهيئ لهم المجال واسعًا كي تكون لهم الكلمة الأولى في البلاد، مع اتفاق يحفظ لهم ماء الوجه يتضمن الحفاظ على مواد الهوية الإسلامية في الدستور الذي أقرته الأمة، والإبقاء على المجلس التشريعي.. ولكن الانقلابيين الدمويين، بعد أن تمكنوا من القضاء على ثورة يناير وسيطروا على الدولة تمامًا واستعادوا أجهزة الأمن القديمة والجلادين من عصر مبارك، ركلوا حلفاءهم الإسلاميين، وأعلنوا أن الدولة علمانية بفطرتها وأنه لا بد من الدم لتبقى مصر علمانية، وقاموا بحل المجلس التشريعي على الفور، وحاربوا الإسلام والمسلمين جهارًا نهارًا في إعلامهم وتصريحاتهم وقبضتهم الأمنية تحت مسمى محاربة الإرهاب، وأيدهم في ذلك ملك السعودية وحكام الإمارات والكويت والبحرين وسلطة رام الله الموالية للعدو النازي اليهودي!

لجنة العشرة المصغرة التي شكلها الانقلابيون عملت في السر. ولكن الذي تسرب عنها كان مريعًا فقد حققت كل مطالب تواضروس بإلغاء كل ما يمت للإسلام في الدستور بصلة، وصارت الأقلية الطائفية المتمردة هي صاحبة القول الفصل في مصير الأغلبية الإسلامية الساحقة، وأكد ذلك تشكيل الانقلابيين الدمويين لجنة الخمسين، حيث كانت الأغلبية من المعادين للإسلام، وكان الإسلاميون الذين تم ضمهم إلى اللجنة من الموالين للعسكر والسلطة الأمنية مجرد محلل أو زوج تحت الطلب!

نستطيع الآن أن نشير سريعًا إلى نجوم لجنة الخمسين من الشيوعيين الذي يظهرون بانتمائهم علنًا أو يتلفعون بعباءات ناصرية أو ليبرالية أو وطنية، ونحن نعلم وكل الناس تعلم أن الأصل الثالث من أصول الشيوعية بعد محو الملكية الفردية وإعلان رأسمالية الدولة هو استئصال شأفة الدين. والشيوعيون المصريون لا يعلنون غالبًا موقفهم صراحة من الدين ولكنهم يغلفونه بمحاربة

الرجعية أو الإرهاب أو التخلف أو عبادة الماضي أو نحو ذلك من مصطلحات مراوغة ورجراجة، وقد فضحهم الله وهم يتحدثون عبر الهواء على شاشات التلفزة ويصرحون أن مصر ليست متدينة بالفطرة ولكنها علمانية بالفطرة ويجب أن تسيل الدماء لتكون علمانية!

الشيوعيون في لجنة الخمسين المعادون للدين صراحةً وضمنًا منهم: محمد عبلة، الفنان التشكيلي وسيد حجا بشاعر العامية وأحمد خيري وعمرو الشوبكي، وحجاج أدول، ومسعد أبو فجر. وهم شيوعيون حكوميون صرحاء، ومحمد مصطفى بدران، رئيس اتحاد طلاب مصر، شيوعي يتلفع بالناصرية وخالد يوسف مخرج الأفلام إياها وهو تلميذ المخرج الشيوعي يوسف شاهين عضو تنظيم حدتو. وحسين عبد الرازق؛ القيادي الشيوعي في حزب توتو. وضياء رشوان؛ نقيب الصحفيين؛ وهو كادر شيوعي سابق في حزب توتو أيضًا. ومحمد عبد القادر؛ كادر شيوعي أسس نقابة للفلاحين لنشر الشيوعية بين الفلاحين. وسامح عاشور؛ نقيب المحامين؛ وهو شيوعي؛ بعباء ناصرية. وعبد الجليل مصطفى؛ وهو شيوعي من التنظيم الطليعي في عهد المهزوم دائمًا جمال عبد الناصر. ومحمد أبو الغار؛ رئيس الحزب المصري الاجتماعي عضو تنظيم الاشتراكية الدولية (تجمع الأحزاب الشيوعية في العالم)؛ وجبالي المراغي؛ كادر شيوعي يشغل منصب رئيس اتحاد عمال. وعمرو موسى؛ شيوعي سابق في التنظيم الطليعي، ومحمد سلماوي؛ شيوعي؛ يرأس اتحاد الكتاب ويتلفع بالناصرية وولاؤه لنجيب ساويرس. وميرفت التلاوي؛ رئيس المجلس القومي للمرأة معادية صراحة للإسلام وتنتمي للحزب المصري الاجتماعي الشيوعي؛ عضو تنظيم الاشتراكية الدولية، ومحمد سامي؛ رئيس حزب الكرامة؛ وهو حزب شيوعي؛ يتلفع بالناصرية. ومحمود بدر؛ حركة تمرد؛ اشتراكي ثوري شيوعي. ومحمد عبد العزيز؛ من تمرد؛ اشتراكي ثوري شيوعي. ومنى ذو الفقار محامية شيوعية. وجابر جاد نصار؛ وهو شيوعي رئيس جامعة القاهرة الآن. وعلى السلمي نائب رئيس حزب الوفد الليبرالي؛ كان شيوعيًا؛ في حزب توتو.

لقد قال وزير خارجيتنا الهارب من التجنيد لمجلة دير شبيجل: مرسي أراد إقامة نظام حكم إسلامي وما كنا لنسمح بذلك به فلجأنا إلى الجيش. وقال قائد الانقلاب الدموي الفاشي لواشنطن بوست: مرسي أراد استعادة الإمبراطورية الإسلامية وهو ما لم يجعله رئيسا لكل المصريين. وقال الشيوعي حسين عبد الرازق عن انسحاب بعض الإسلاميين من لجنة الخمسين الانقلابية إنه لا يغير من الأمر شيئًا!

ماذا ينتظر الإسلام على يد الشيوعيين في مصر؟!!

لاعب أمريكي يدعي النبوة ويبدأ دعوته من مصر... ويؤكد: مرسي خائن

موقع محيط–١١/٨/٢٠١٣

فيما تخطى مسيلمة الكذاب وبهاء الله مؤسس الديانة البهائية قام لاعب كرة السلة الأمريكي السابق بالدخول إلى عالم الدجل الديني عن طريق إدعائه عنه النبي الذي أتي من أجل إسدال الستار على العالم وبداية الأيام الأخيرة في عهد الأرض .

قام كريس كريج لاعب كرة السلة السابق في فريق يوتاه والذي اعتزل التدريب منذ أشهر قليلة بالتوجه إلى مصر من أجل بداية عهد جديد يروج من خلاله لأفكاره ومعتقداته حول نهاية العالم .

وأصدر كريس مدونة عبر الانترنت أعلن فيها عن تغير اسمه إلى ميكائيل وأنه سوف يبدأ في رحلته لتطهير العالم وأرسل صاحب الـ٣٧ عام تهديدات لكلا من عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع المصري ومحمد مرسي الرئيس السابق معتبرا أنهم خونة لا يحافظون على أرض مصر .

واستشهد اللاعب في تدويناته التي ادعى الاعلام الإمريكي فيها بالكذب أنه انضم لـ«جهاديين إسلاميين» بنصوص من الانجيل إضافة إلى إرساله تهديدات للطوائف المارونية والكاثولوكية معتبرا أنهم من العناصر الفاسدة في الأرض التي يجب إبداتها .

وكريس الذي بدأ في نشر أفكاره تلك منذ مارس الماضي وجه اتهامات لمرسي وأوباما بالخيانة حيث وجه الحديث للرئيس السابق: «أنت تعرف حقيقت وكنت أتمنى أن أقابلك وجها لوجه كي أخبرك بهذا الأمر بنفسي.»

واستطرد: «أنا هنا من أجل إخبارك بمصيرك ومصير المصريين جميعا ومصير النهر العظيم»، حيث اكد أن النهر سوف يجف ولن يعد له وجود من جديد.

لجنة الدستور تهدد خارطة المستقبل!

جمال سلطان- المصريون ٢٠١٣/٩/٢

ما حدث في موضوع البند الأول من خارطة المستقبل، وهو المتعلق بالدستور الجديد يكشف عن أن الأمور تتخبط بالفعل في يد المجموعة الحاكمة الآن، وهناك فقدان تام للرؤية الجادة للمستقبل، وإحساس غائب بالمسؤولية، وأعتقد أن هذا مما يزيد العبء على المؤسسة العسكرية وعلى الفريق السيسي شخصيا، لأنه في النهاية الذي سيحمل هذه «الشيلة» على ظهره وسيكون مطالبا - وحده - بتحمل عواقبها، فلجنة الخبراء التي وضعت التعديلات كانت أشبه بالتنظيم السري، في تشكيلها وفي عملها وفي معاييرها وفي سياساتها وفي رؤيتها وفي جدلها وحتى نتائجها المعلنة، حتى كان كثيرون في كل الاتجاهات يتساءلون بغرابة، ما الذي تعمله هذه المجموعة السرية وتخاف من اطلاع الناس عليه، وتلك روح مناقضة تماما لطبيعة العمل في دستور يهم كل مواطن وكل خلية من خلايا المجتمع، ثم أتى قرار تشكيل لجنة الخمسين التي ستقرر النص النهائي الذي يعرض للاستفتاء مكملا لهذا المسار المتخبط، ووضح أن هناك بعض القوى السياسية تتهز الفرصة لكي تتعامل بمنطق «الكوتة» التي تنتزعها في مؤسسات الدولة، ووضع أن اليسار المصري تحديدا، بشقيه الاشتراكي والناصري يستحوذ على مساحات واسعة للغاية من المؤسسات الجديدة، وهي ملاحظة أعتقد أن دلالتها أكبر من تلك الجزئيات، وربما تتعلق بأفكار يقدمها بعض «العواجيز» للمؤسسة العسكرية تستلهم تجارب ماضية ثبت أنها انتهت بمصر إلى الكوارث، المهم، أنا أقدر أن كتابة الدستور لا تتعلق بالأقلية ولا بالأغلبية بقدر تعلقها بتمثيل كامل للمجتمع ونشاطاته، ولكن يبقى الاختيار في هذه النشاطات له دلالة، فعندما ترغب في تمثيل الشباب فهذا مطلب جيد ورائع، ولكن لماذا شباب التيار الناصري وحده الذي يتمثل بشخصين، هل ملايين الشباب المصري هم هؤلاء الناصريون، وأنا هنا لا أتحدث عن تمثيل شباب حركة تمرد مثل محمود بدر أو محمد عبد العزيز، فهم شباب مغامرون وقدموا فكرة استفاد منها قوى وأجهزة

عديدة لإنهاء حكم الإخوان، هذا صحيح، لكن تمرد ليست تنظيما سياسيا ولا حزبا، هي فكرة ناجحة أدت غرضها في ظرف زماني محدد وانتهت، وهؤلاء الشباب لو ترشح أحدهم في مجلس محلي فلن يختاره أحد، الناس تفاعلت مع تمرد كفكرة وليس كتنظيم، وبالتالي لا يصح تضخيم هؤلاء الشباب ودورهم بحيث يكونوا هم الممثلون لملايين الشباب المصري من كل التيارات، هذا عبث، ويعني أن المسائل تمثل توزيع «تورتة» على الفائزين في معركة الإطاحة بالإخوان وليس صناعة مستقبل دستوري يليق بمصر، أيضا فإن وجود ثلاثة أشخاص يمثلون أحزاب اليسار المصري، في حين لا يوجد من يمثل أحزاب التيار الإسلامي إلا شخص واحد، هي مسألة لا يمكن تفسيرها بأي أخلاق سياسية أو منطقية، فحزب التجمع على سبيل المثال الذي يمثله زميلنا حسين عبد الرازق لم يحقق في أي انتخابات برلمانية طوال الأربعين عاما الماضية أكثر من واحد في المائة، بينما حزب النور حقق أكثر من ٢٥٪ في البرلمان الأخير، والدكتور محمد أبو الغار لم يصل حزبه - وهو بالمناسبة حزب رئيس الوزراء الحالي - لم يصل إلى واحد في المائة من القبول الشعبي في الانتخابات الأخيرة، وباختصار لا يمكن أن تكون أحزاب أو تيارات حققت قبولا شعبيا ديمقراطيا بنسبة تصل إلى ستين في المائة يمثلها شخص واحد، بينما أحزاب لم تمثل مجتمعة أكثر من واحد في المائة من الشعب يمثلها ثلاثة أشخاص، هذا غير منطقي بالمرة، كذلك مسألة تمثيل المرأة وضح فيها أنه ليس أي امرأة، وإنما نوعية خاصة من النساء التي خدمت بتفاني سلطة جيهان السادات وسلطة سوزان مبارك وسلطات المجلس العسكري من بعدهم، فهذا ليس تمثيلا للمرأة وإنما تمثيل لولاءات سياسية معينة، أيضا ليس من المعقول أن يتم توزيع المناصب على رموز ناصرية ويسارية من المجلس الأعلى للصحافة للمجلس الأعلى لحقوق الإنسان ثم يكونوا هم أنفسهم في مجلس صياغة الدستور، أيضا لا يمكن هضم معنى أن يكون المخرج السينمائي الشاب خالد يوسف ممثلا للمثقفين المصريين في كتابة الدستور، وهو شخص لا يعرف له تاريخ ثقافي من حيث الأساس، هو صنايعي سينما فقط لا غير، وأظن أن بمصر من القامات الثقافية والأكاديمية الرائعة التي يمكن أن تمثل الثقافة في الدستور بشكل أمين وراق ومتحضر، بل أتصور أن طرح اسم خالد يوسف هو إهانة حقيقية للثقافة والمثقفين في مصر، أيضا لا يعقل أن يكون في اللجنة ممثل للفنون التشكيلية التي يهتم بها بضعة مئات بينما أربعين مليون فلاح مصري على الأقل ليس لهم من يمثلهم في الدستور. لا أريد أن تذهب بي الظنون بعيدا في التفسير التآمري للأحداث، وأن أتصور أن هذه اللجنة قصد منها إطالة أمد الفترة الانتقالية أو دفع البلاد للبحث عن مسار آخر للمستقبل غير ما أعلن عنه في خارطة المستقبل، لأن هذه اللجنة - بتلك الروح والمشاعر العدائية لهوية المجتمع - ستضع نصوصا لن يقبلها ملايين المصريين، والغالب أنهم سيصوتون ضد اختياراتها وسيسقطون المشروع الجديد، ليتم تعليق أي انتخابات أو خطوات عملية حقيقية إلى أجل غير مسمى، وأتصور أن هذه الوساوس تتسلل الآن إلى أفكار بعض الرموز الوطنية، أو هكذا فهمت من كلام الصديق الدكتور وحيد عبد المجيد الذي طالب بضرورة إصدار إعلان دستوري مكمل يلزم الدولة بإنجاز الانتخابات البرلمانية والرئاسية حتى لو تم تعثر ميلاد الدستور الجديد، وهو طلب له دلالته ودوافعه التي لا تخفى على أحد.

وماذا بعد ضرب سوريا؟
(لئلا تتكرر مأساة العراق)

زين العابدين الركابي – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٩/٧

العنوان (افتراضي) لا تقريري. بمعنى أننا نفترض أن ضرب سوريا قد أصبح واقعا!

وإذا أخذنا بهذا الافتراض، فإن السؤال التالي هو: ما هي آثار الضربة أو الهجوم؟

ليس يستطيع أحد أن يحدد لنا آثار الضربة..

وكل ما قيل في هذا المجال هو محض خيال أو تصورات لا يسندها دليل موضوعي يمكن الاعتماد عليه.. والراجح أن عناوين روج لها الإعلام السياسي مثل (ضربة محدودة) أو (عملية جراحية موضوعية محسوبة) إنما هي عناوين تكتيكية، أو (تلطيفية)، أي تلطف أهوال ما سيقع!! وإلا فإن المعروف في التاريخ العسكري (كما يقول خبراء الاستراتيجيات العسكرية).. المعروف هو أن الحروب تسخن وتبرد ثم تسخن، وتتمدد وتنكمش ثم تتسع وفق (الفعل) ورد (الفعل). وإذا كان المهاجم يستطيع أن يحدد فعله، فإنه لا يملك أن يحدد رد فعل المدافع.

صحيح أن الفيتناميين - في أثناء حرب فيتنام الشهيرة - كانوا (يؤخرون) رد الفعل حتى يظن المهاجم لهم: أنهم لن يفعلوا شيئا! بيد أن هذا الظن ذاته هو هدف تأخير رد الفعل، أي أن القيادة الفيتنامية كانت تستخدم أسلوب التأخير ضمن حساب (عامل الزمن) في خطط الحرب. كانت - بمفهوم صريح مباشر - تهدف إلى تخدير الأميركيين و(تنويمهم) فإذا ناموا أو نعسوا كرت عليهم بالخطة التي بيتتها.. والمهم في هذه النقطة أنه حين تنشب الحرب وتلتهب الجبهات يكون للفعل والردود عليه دور مؤثر في مسارات الحرب.. وحتى لو تقرر: أن الضربة محدودة فإن رد الفعل قد يوسع نطاقها بلا ريب، لأن البادئ قد يضيق برد فعل غير متوقع فيعاجل الذي قام بالرد - من ثم: بضربة ثانية وثالثة ورابعة.. وعندئذ تكون الضربة المحدودة بمثابة بداية الحرب فحسب.. ومما يزيد هذا الاحتمال رجحانا: أن نفوس الأطراف المنغمسة في الحرب مشحونة بمعدلات عالية من الغضب والكراهية والنزوع إلى الانتقام والرغبة في السحق والمحق وفرم اللحم وهرس العظم.. وهذه الشحنات تعد أقوى طاقة لتسعير الحروب وتطويل عمرها واستدامة لهيبها.

نعم.. لنفترض أن الحرب على سوريا قد وقعت.. وبناء على ذلك نسأل: وماذا بعد الضرب والحرب؟

ما يهمنا - ها هنا: أن تبقى الدولة السورية، وأن يبقى الشعب السوري. والمثل القريب ها هنا - جغرافياً وزمنياً - هو: العراق. لقد شنت حرب غربية على العراق قبل سنوات عشر - ٢٠٠٣. فكيف كانت حال العراق بعد تلك الحرب؟

الصورة - بإيجاز - هي: (خراب العراق):

١- تدمير البنية التحتية - والفوقية - للدولة العراقية.

٢- تفكيك الجيش العراقي وتوهين فاعليته بعد أن سارع الحاكم الأميركي للعراق (بريمر) باتخاذ قرار حل الجيش العراقي!!

٣- قتل وتشويه مئات الألوف من العراقيين من الأعمار كافة، ولا سيما الأطفال!

٤- استفحال سطوة القتل والتقتيل والتفجير واتساع نطاق الهروب والتهجير واضطراب الأمن العام، بل انعدامه.

٥- اشتعال فتنة طائفية: عرف أولها، ولم

يعرف مسارها ولا نهاياتها.

٦- وقوع العراق في قبضة إيران.

وما هو أهم من المهم: الاعتبار بالمثل العراقي، وهو اعتبار ضروري: استراتيجي وسياسي وأمني وأخلاقي.. ويقتضي اعتبار هذا الدرس المرير الكبير:

أولا: بقاء البنية التحتية - والفوقية - للدولة السورية.. فهذه البنية إنما هي مقدرات الشعب السوري، وليست إقطاعيات ولا أملاكا خاصة للنظام السياسي الحاكم.. وبقاء بنية الدولة السورية لا يتأتى مصادفة، بل هو هدف يتطلب قرارا سياسيا عسكريا، كما يتطلب يقظة دائمة في أثناء تنفيذ العمليات والطلعات.

ثانيا: احتواء الجيش السوري - لا هدمه ولا حله - ووسائل الاحتواء كثيرة منها: التطمين على مستقبل النفس والأهل والولد.. ومنها الترغيب الجاد المتنوع الحوافز والصور.. إلخ.

وهذا موقف مطلوب لذاته.. ومطلوب - كذلك - لدفع تهمة خطرة ومخزية جدا.. ففي هذه المنطقة انتشر مفهوم معين يقول: إن من الأهداف الكبرى لإسرائيل والصهيونية العالمية: تحطيم الجيوش العربية الفاعلة لصالح إسرائيل. ومن هنا، فإن إبطال مفعول هذا المفهوم الخطر إنما يكون بالحفاظ على كينونة الجيش السوري.. وإلا فإن الدعاية السوداء ستجد أوسع فرصة لتقول: إن الحرب على سوريا هدفها المحدد هو: خدمة إسرائيل أمنيا واستراتيجيا وأن المشاركين في الحرب يخدمون إسرائيل!!

وليس ينبغي الاستهانة بالرأي العام الذي يمكن أن يحمل هذا المفهوم، ولا سيما أن استفزازات إسرائيل تعين على زيادة كراهيتها لدى الرأي العام العربي.

ثالثا: إدارة الحرب بعيدا عن (المدنيين) لئلا يقتل مئات الألوف من السوريين كما حدث في العراق من قبل.. ولا قيمة - ألبتة - للتشنيع على النظام السوري بتهمة استعماله الكيماوي ضد شعبه: إذا استباحت الحرب المحتملة المدنيين في سوريا: استباحت بيوتهم وأسواقهم. فالناس لا يحترمون - في العادة - من يدين الجريمة ثم لا يلبث أن يرتكب مثلها ولو بأسلحة مختلفة!!

ثم إن استباحة المدنيين ستؤدي إلى نزوح سوري جديد، أو إلى تهجير جديد ينتظم مسلمين ومسيحيين والطوائف كافة. وإنما هرب مثل هؤلاء من العراق لأنهم أحسوا أن حياتهم (المدنية) في خطر قاتل.

رابعا: قد يقال: كيف يمكن أن تقع سوريا في قبضة إيران كما وقع العراق؟.. هناك فروق في هذه المسألة بين البلدين.. بيد أن أي حسابات خاطئة في مثل هذه الأوضاع الحساسة قد تظهر إيران وكأنها هي الحريصة على الدولة السورية، وعلى الشعب السوري.

ولقد دلت التجارب - القديمة والحديثة - على أن الخصم أو المنافس قد يربح أعظم الأرباح من أخطاء خصمه أو منافسه.

ثم من هو الذي يدير الحكم في سوريا في حال تنفيذ الضربة وسقوط النظام؟.. لعل أصحاب الأماني والأحلام يسارعون فيقولون: لا مشكلة. فالمعارضة جاهزة ومستعدة!! والسؤال هو: أي نوع من المعارضة؟.. إن مسؤولية إدارة الدولة في بلد كسوريا هي مسؤولية ثقيلة وشاقة: لا تدار بالأماني العذاب، ولا بالأحلام المجنحة.. وفي مقدمة تلك المسؤولية: الوحدة الصلبة على أساس رؤية سياسية واستراتيجية ناصعة جدا، وواقعية جدا، وإلا فإن سوريا ستخرج من حفرة لتقع في أخرى: كما حدث في بلدان أخرى عديدة.